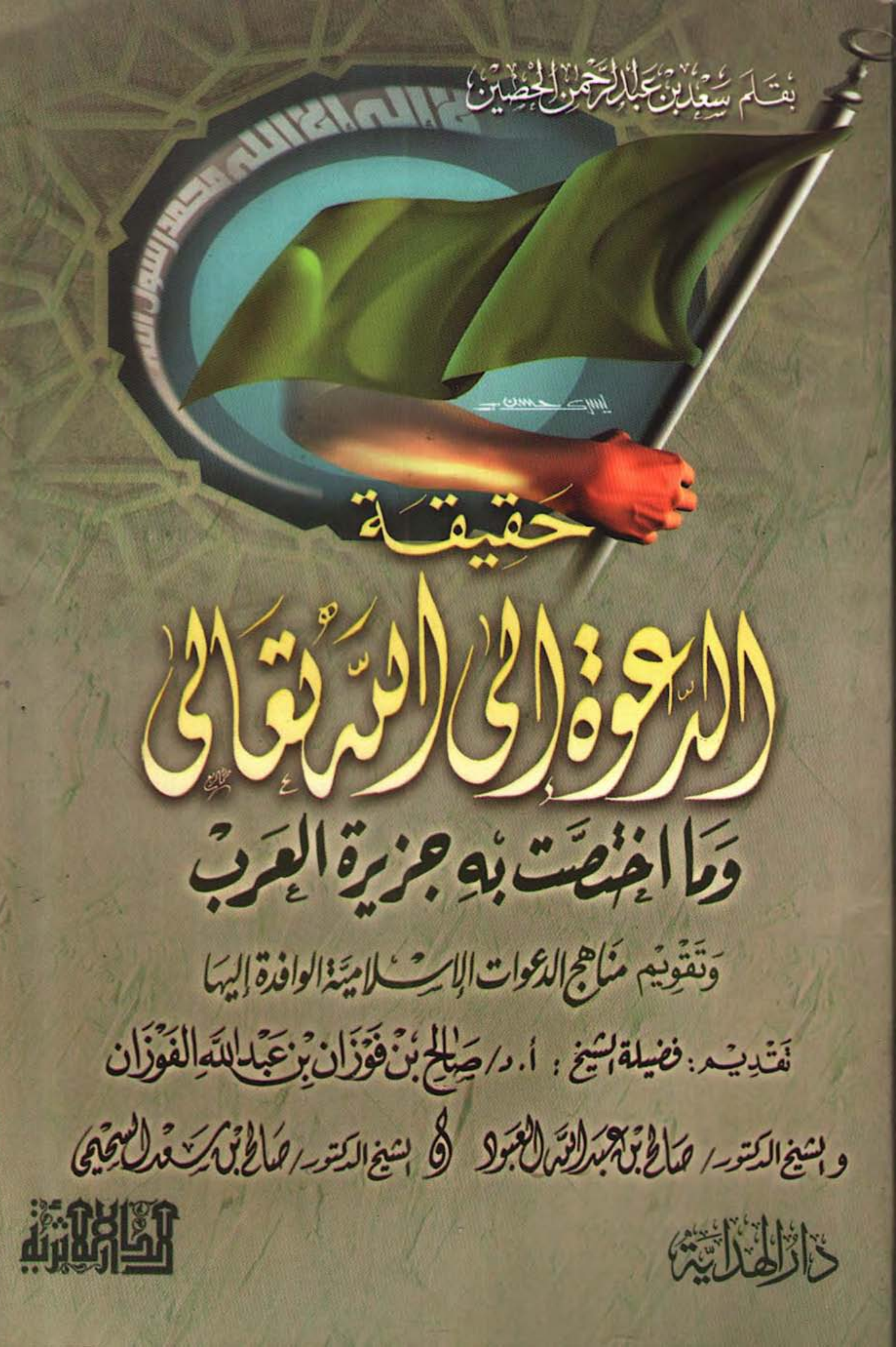

بقلم سعد بن عبد الرحمن الحصين
حقيقة
الدعوة إلى الله تعالى
وما اختصت به جزيرة العرب
وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها
تقديم: فضيلة الشيخ: أ. د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
والشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله العبود و الشيخ الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي
دار الهداية
الدار الأثرية

حقيقة

الدعوة إلى الله تعالى

وما اختصت به جزيرة العرب

وتقويم

مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٦٣١٨



مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٨٣٦٢٠٨٦٤

dar-elatharia@yahoo.fr - dar_elatharia1@hotmail.com



مساكن عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٠٩١٠١٥٥٦

HASSANANAS78@YAHOO.COM

حقيقة الدعوة إلى الله تعالى

وما اختصت به جزيرة العرب

وتقويم

مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها

بقلم

سعد بن عبدالرحمن الحصين

تقديم:

فضيلة الشيخ: أ.د/ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

و

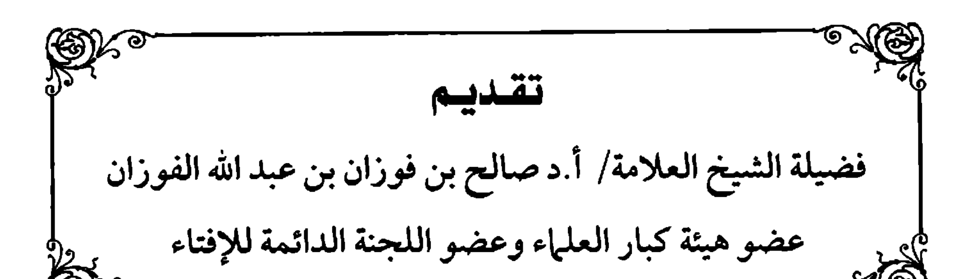
الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله العبود و الشيخ الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي

دار الهداية

الدار الأثرية

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

فضيلة الشيخ العلامة/ أ.د صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه المبين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1]. والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»[2]. وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كان العرب قبل بعثة محمدﷺ في جاهلية وتفرق وتناحر، فجمعهم الله به

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٢.

(٢) انظر تخريجه في (ص١١٦).

بعد الفرقة، وأعزهم به بعد الذلة، وأغناهم به من العيلة، وذكَّرهم بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

وقد بقوا علىٰ هذه الحال من الاجتماع والألفة، ودانت لهم شعوب الأرض إلىٰ أن وقع بينهم الاختلاف، وصاروا شيعًا وأحزابًا، فتمزقت دولتهم، وتفرقت كلمتهم، ولم يبق علىٰ الحق منهم إلا من تمسك بسنة الرسول ﷺ وما كان عليه هو وأصحابه، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله، حيث لا نجاة من النار ولا سلامة من الضلالة، ولا عاصم من الفرقة والاختلاف إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، وما كان عليه صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، والقرون المفضلة، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله-: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»[3]. وقد صدق -والله- في ذلك وشواهد ذلك كثيرة:

ومنها: ما كانت عليه بلاد نجد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) انظر تخريجه في (ص٤٣).

فقد كانت تلك البلاد في حال يرثىٰ لها: **من الناحية السياسية**: فكل قرية تحكم نفسها وتعادي وتقاتل القرية المجاورة لها، بل ربما يتعادىٰ أهل القرية الواحدة ويكون لكل طائفة منهم أمير، ويتقاتلون فيما بينهم.

ومن الناحية الدينية: كانت فيها الشركيات والبدع والخرافات، علىٰ الرغم من وجود علماء صرفوا عنايتهم في الفقه، ولم يهتموا بأمر العقيدة، وكانت القبائل تحكم نفسها بالعوائد الجاهلية.

فلما أراد الله بتلك البلاد خيرًا قيض لها عالمًا من أبنائها، درس أوضاعها، وسبر أحوالها، وعرضها علىٰ كتاب الله وسنة رسوله، وعلىٰ منهج السلف الصالح، بعدما تبحر في علم الكتاب والسنة، ومعرفة ما عليه السلف الصالح، ونهل من كتب الشيخين الإمامين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وعرض دعوته علىٰ بعض أمراء تلك البلاد، ممن يتوسم فيهم الكفاءة للقيام بمناصرته، فوجد من أمير الدرعية: محمد بن سعود -رحمه الله- خير مناصر له، قَبِل دعوته، وعاهده علىٰ مناصرته والجهاد معه، وبهذه البيعة المباركة بدأت الدعوة التنفيذية، واستجاب لها من أراد الله له السعادة.

وجلس الشيخ للطلاب في المسجد، وجاء إليه الطلاب من مختلف الجهات، وكاتب الأمراء والعلماء يدعوهم إلىٰ الله، وكتب الرسائل والمختصرات للمبتدئين والعوام، وألف الكتب المطولات لإفادة الطلاب، وتزويدهم بالعلم النافع، وقامت دولة التوحيد، ودخل تحت لوائها جميع بلدان نجد والبوادي، وأصبحت القرية الصغيرة بالأمس عاصمة كبرىٰ تسيطر علىٰ جميع البلاد، وانتشر التوحيد، وأزيلت

معالم الشرك والبدع، والخرافات، وقامت المدارس العلمية في أنحاء البلاد، وتخرَّج منها العلماء الأفذاذ، ونشطت حركة التأليف والبحث، مما كوَّن ثورة هائلة من الكتب النافعة، وامتد عمر هذه الدعوة، وبقيت هذه الدولة -ولله الحمد- علىٰ الرغم مما اعترضها من معوقات، ووقف في سبيلها من طغاة، ولا تزال -ولله الحمد- هذه البلاد تعيش تحت ظلها، وستبقىٰ -بإذن الله- علىٰ الرغم من كيد الأعداء لها قديمًا وحديثًا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

فقد حاول أعداء هذه الدعوة أن يقضوا عليها بالقوة فلم ينجحوا، وحاولوا أن يقاوموها بالتشكيك والتضليل والشبهات ووصفها بالأوصاف المنفرة، فما زادها إلا تألقًا، ووضوحًا، وقبولاً، وإقبالاً.

ومن آخر ذلك ما نعيشه الآن من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلىٰ بلادنا باسم الدعوة، علىٰ أيدي جماعات تتسمىٰ بأسماء مختلفة مثل: جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا، وهدفها واحد، وهو أن تزيح دعوة التوحيد، وتحل محلها، وفي الواقع أن مقصود هذه الجماعات لا يختلف عن مقصود من سبقهم من أعداء هذه الدعوة المباركة، كلهم يريدون القضاء عليها؛ لكن الاختلاف اختلاف خطط فقط- وإلا لو كانت هذه الجماعات حقًّا تريد الدعوة إلىٰ الله، فلماذا تتعدىٰ بلادها التي وفدت إلينا منها، وهي أحوج ما تكون إلىٰ الدعوة والإصلاح؟! تتعداها وتغزو بلاد التوحيد تريد تغيير مسارها الإصلاحي الصحيح إلىٰ مسار معوج،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

وتريد التغرير بشبابها، وإيقاع الفتنة والعداوة بينهم.

لأنهم رأوا ما تعيشه بلادنا من الوحدة، والتلاحم بين قادتها ورعيتها، وبين أفرادها وجماعتها، رأوا في بلادنا دولة إسلامية في عقيدتها ومنهجها، تحكم بالشريعة، وتقيم الحدود، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر.

فأرادوا أن يسلبوها هذه النعمة، ويجعلوها كالبلاد الأخرىٰ: تعيش الفوضىٰ وفساد العقيدة، وإلا فما هو هدفها من غزو بلادنا بالذات، والتركيز عليها وترك البلاد الفاسدة؟!

وإذا كان هذه الجماعات قد غررت ببعض شبابنا، فتأثروا بافكارها، وتنكَّروا لمجتمعهم، وتشككوا في قادتهم وعلمائهم، وانطفأت الغيرة علىٰ العقيدة فيهم، فتركوا الاهتمام بها، وصاروا يهرفون بما لا يعرفون، وينعقون بما يسمعون.

فإن في هذه البلاد -ولله الحمد- رجالاً يغارون لدينهم، ويدافعون عن عقيدتهم، ويردون كيد الأعداء في نحورهم، ولا ينخدعون بالأسماء البراقة، ولا يتأثرون بالحماس الكاذب.

ومن هؤلاء فضيلة أخينا العلامة الشيخ: سعد بن عبد الرحمن الحصين -حفظه الله- وزاده علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، فقد كشف زيف هذه الجماعات عن علم بها، وخبرة بأهدافها ومقاصدها، وذلك في كتابه القيم الذي بين أيدينا بعنوان: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وما اختصت به جزيرة العرب، وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها».

فجزاه الله خيرًا وأجزل مثوبته علىٰ ما قام به من مقاومة هذا الغزو الفكري،

الذي يستهدف أعز شيء لدينا، وهو صرف الناس عن دعوة التوحيد والتمسك بالسنة، إلى الدعوة إلى الفتنة والفرقة.

وإذا كان الكتَّاب والخطباء المتحمسون من شبابنا يحذروننا من الغزو الفكري، فأي غزو فكري أخطر من هذا الغزو؟

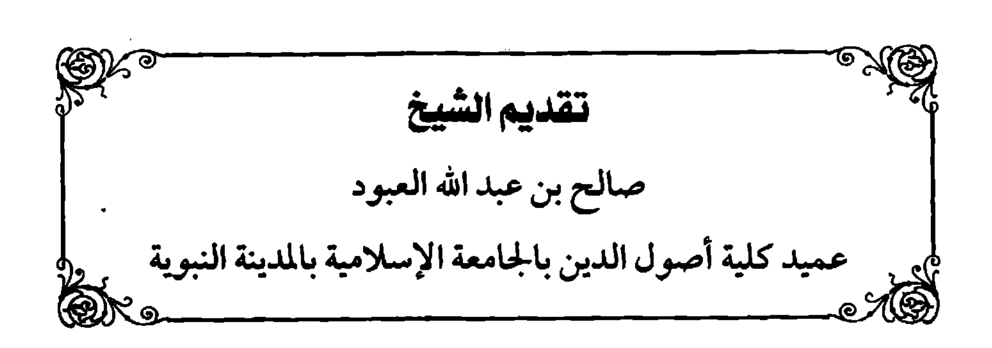
فالواجب أن تصرف الهمم لمقاومته، والوقوف في وجهه.

وفق الله الجميع لما فيه صلاح الأمة، ووقايتها مما يحاك ضدها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان



تقديم الشيخ

صالح بن عبد الله العبود

عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن لا إله إلا الله، لا معبود حق سواه، وأشهد أن محمدًا الهاشمي العربي عبد الله ورسوله، عبد لا يُعبد ورسول لا يكذب، بل يصدق ويطاع ويتبع، ولا يعبد الله إلا بما شرع، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث رسوله محمدًا ﷺ من هذه الجزيرة العربية إلى الإنس والجن عامة ينذرهم عن الشرك، ويدعوهم إلى التوحيد؛ الذي هو إفراد الله بالعبادة وترك الشرك وأهله والبراءة من الشرك وأهله والولاء للتوحيد وأهله، أخذ على هذا نحوًا من عشر سنين بمكة ثم عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر فيها أمر ببقية

الشرائع، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والقتال في سبيل الله، وغير ذلك من شرائع الإسلام، وهكذا سنته ﷺ دعوة لينة من غير قتال، ثم مجاهدة للمشركين والكفار ومقاتلة لإعلاء كلمة الله ودينه وما أحسن ما قاله الشاعر في هذا المعنىٰ:

دعا المصطفىٰ دهرًا بِمكة لَمْ يَجب ... وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا[1].

وكما قال شوقي -يعني رسول الله ﷺ-:

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لَمَّا أتىٰ لك عفوًا كل ذي حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم[2]

والأمر كما قال أبو تمام:

وما هو إلا الوحي أوحد مرهف ... تَميل ظباه أخدعي كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل
هو الْحَق إن تستيقظوا فيه تغنموا ... وإن تغفلوا فالسيف ليس بغافل[3]

وأبلغ من ذلك قول رسول الله ﷺ من حديث ابن عمر: «أمرت أن أقاتل

---

(١) انظر: ردًّا لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز علىٰ بعض الكتاب، طبع ضمن مجموع صغير بمؤسسة النور بالرياض، (ص:٧)، وضمن مجموع فتاوىٰ الشيخ: (٣/ ١٨٤، ٢٠٤).

(٢) الشوقيات: (١/ ٢٠١)

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: (٣/ ٨٦-٨٧).

الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾»[١].

وأخرجه عن أنس بنحوه في كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة[٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

فأنعم الله بفضله علىٰ المؤمنين بالألفة والاجتماع، بعد أن اجتمعت قلوبهم وقوالبهم علىٰ إخلاص الدين لله ومتابعة رسوله ﷺ، وهذا هو منطلق الإسلام، ومبنىٰ جماعة المسلمين، ومنهج سنة سيد المرسلين، والعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، ولا افتراق بين المستمسكين بها، وبهذا كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة، قد

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: (١/ ٧٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: (١/ ٤٩٦، ٤٩٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان (١/ ٥٣، رقم: ٢٢) من طبعة فؤاد عبد الباقي.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

ملكهم الله القوة كلها في العلم النافع وفي العمل الصالح معًا، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فصاروا سادة العالم في مشرقه ومغربه، أظهر الله الإسلام على الدين كله، وبالإسلام ظهر المسلمون على الناس كلهم، حتى حدث فيهم اتباع الأهواء وعبادتها فتفرقوا واختلفوا كما أخبر النبي ﷺ: أن «**هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني: الأهواء- كلها في النار إلاَّ واحدة وهي: الجماعة**»[1].

وفي رواية: «قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي**»[2].

فبين النبي ﷺ في هذا وفي غيره من نصوص الوحي أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، ذلك لأن المختلفين المفترقين الهالكين خالفوا سنة رسول الله ﷺ وفارقوها واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وصاروا شيعًا وأحزابًا: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

واتبع كل فريق منهم ما في قلوبهم من الهوى لأحد المخالفات لأصول الإسلام من البدع المحدثة وأعرضوا عن هدي الرسول ﷺ ونهوا عن اتباع أهل السنة والجماعة، ودعوا الناس إلى اتباع طريقهم وسلوك منهجهم بغيًا وظلمًا فتفرقوا إلى شيع كثيرة يذيق بعضهم بأس بعض، كما في صحيح البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: **أعوذ بوجهك**، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: **أعوذ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧) وغيرهما، وانظر شرح الطحاوية، تحقيق: عبد الله التركي وزميله، (ص: ٣٤٠).

(٢) أخرجها الترمذي (٢٦٤١)، وانظر: شرح الطحاوية، تحقيق التركي وزميله، (ص: ٥٤٥).

بوجهك، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾[(١)]. قال: **هاتان أهون**»[(٢)].

فدل علىٰ أنه لابد أن يلبسهم شيعًا بما افترقوا ويذيق بعضهم بأس بعض بما كسبوا مع براءة الرسول ﷺ وصحابته، وتابعيهم، وعموم أهل السنة والجماعة من هذه الحال، التي هي جاهلية، كما قال الزهري: «وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا علىٰ أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية»[(٣)].

هذا في زمانهم فكيف فيما بعد زمانهم إلىٰ يومنا هذا؟ لقد زادت الفرقة وكثر الاختلاف واتسع الشقاق، وماجت الفتن بأصحاب الأهواء موج البحر، وصارت قلوبهم متنافرة، مظلمة سوداء مربادة، لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا إلا ما أشربت من الأهواء[(٤)].

وصار الاختلاف في أصل الدين، في إفراد الله في العبادة، وفي العبادة ذاتها كما اختلف الذين من قبل اتباعًا للسنن، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه. قالوا: يا**

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري (٨/ ٢٩١)، سنن الترمذي (١٣/ ٢٩٥، ٣٨٨)، ومسند أحمد (٣/ ٣٠٩) وغيرهم.

(٣) انظر: المصنف لعبد الرزاق (١٨٥٨٤)، وسنن سعيد بن منصور رقم (٢٩٥٣)، وسنن البيهقي (٨/ ١٧٥)، وتخريج التركي وزميله لشرح الطحاوية (ص٣٨٨).

(٤) انظر: حديث حذيفة في صحيح مسلم (١/ ١٢٨).

رسول الله من اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن إذن**»[١].

وفي حديث أبي واقد الليثي يقول: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين ونحن حديثو عهد بكفر -وكانوا أسلموا يوم الفتح- قال: فمررنا بشجرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: **الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من قبلكم**»[٢].

وفي صحيح البخاري في كتاب الفتن، باب: تغير الزمان حتىٰ يعبدوا الأوثان، وفيه حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس علىٰ ذي الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية**»[٣].

وقد وقع كثير من أنواع الشرك الأكبر في المسلمين، مثل ما ذكره الشيخ قاسم في «شرح درر البحار» وهو من أئمة الحنفية-، قال: النذر الذي يقع من أكثر العوام، يأتي إلىٰ قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إن رُد غائبي أو عُوفي مريضي أو قُضيت حاجتي فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا، باطل لوجوه، منها: أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه مع فتح الباري (٦/ ٤٩٥)، (١٣/ ٣٠٠)، ومسلم في صحيحه، رقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٣/ ٨٤، ٨٩، ٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٦-٣٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي في سننه (٢/ ٢٧-٢٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) وهذا لفظه.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/ ٧٦)، وصحيح مسلم رقم (٢٩٠٦)، وانظره في كتاب السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٨).

النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها أن ذلك كفر -إلى أن قال-: وقد ابتلى الناس بذلك لاسيما في مولد أحمد البدوي[١]، وما ذكر الأذرعي في «قوت المحتاج شرح المنهاج» -وهو من أئمة الشافعية- من نحو هذا وأعظم[٢]، وما ذكره الطرطوشي -المالكي- على حديث أبي واقد الليثي المتقدم ذكره.

وكذلك ما ذكره أبو شامة في كتابه الباعث -وهو من أئمة الشافعية- وما ذكره ابن القيم وأبو الوفاء ابن عقيل قبله -وهما من أئمة الحنابلة- وغيرهما، كلهم صرحوا بأن الأعمال الشركية قد عمت بها البلوى وشاعت في كثير من البلاد، وأن المشاهد والأبنية على القبور قد كثرت وكثر الشرك عندها وبها حتى صار كثير منها بمنزلة اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركًا عندها وبها»[٣].

حتى وصل الحال ببعض قادة الدولة العثمانية وبعض سلاطينها إلى حماية هذا الشرك والدعوة إليه وممارسته، من ذلك رسالة وجدت في الحجرة عند قبر النبي ﷺ عام ١٢٢٢هـ، أولها: «من عبيدك السلطان سليم، وبعد يا رسول الله قد نالنا الضر ونزل بنا من المكروه ما لا نقدر على دفعه واستولى عباد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم والعون عليهم وأن تكسرهم عنا، وذكر كلامًا كثيرًا هذا معناه وحاصله»[٤]. ومثله قد جرى أيضًا من السلطان عبد الحميد[٥].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣١٢-٣١٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) انظر الدرر السنية (١/ ٣٠٨، ٣١٣).

(٤) انظر الدرر السنية (١/ ٣١٤).

(٥) انظر مذكراته التي نشرتها مجلة المجتمع الكويتية ورسالته إلى شيخه في الصوفية ونشرت في أول =

فانظر أيها القارئ الكريم هذا الشرك العظيم المنسوب إلىٰ من يسمىٰ سلطان المسلمين في وقته، أما ما يجري من عوامهم من سؤال غير الله الحاجات، وتفريج الكربات فمما لا يقدر علىٰ ضبطه وهو مشهور، كل ذلك يدل علىٰ اشتداد غربة الإسلام، وحدوث الشرك الأكبر في المسلمين، وهم يحسبونه دينًا وقربة إلىٰ رب العالمين، فما أشد خطر الشرك وخطر وقوعه، وأعظم البلية به والعياذ بالله.

ولكن -بفضل الله ورحمته-: لا تزال طائفة أهل السنة والجماعة: الفرقة الناجية باقية إلىٰ قيام الساعة كما روىٰ البخاري من حديث معاوية ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم علىٰ ذلك**»[١].

يقيم الله بهم الحجة الرسالية، ويردون علىٰ المخالفين ويجاهدون في الذب عن السنة، وقد يكونون غرباء في زمان أو مكان بالنسبة لكثرة المخالفين، وظهورهم غير أن الله تعالىٰ ينصرهم ويحفظ دين محمد ﷺ بوجودهم، قال الإمام أحمد -رحمه الله- في خطبة كتابه: «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة، فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه علىٰ غير تأويله»:

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم

=

كتاب حكومة العالم الخفية، تأليف شيريب سبير يدوفيتس، تحرير وتقديم: أحمد راتب عرموش، ط الأولىٰ، ١٣٩٤هـ دار النفائس، بيروت.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (٦/ ٦٣٢)، كتاب المناقب، وصحيح مسلم (ص١٥٢٤)، كتاب الإمارة.

يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصِّرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[١].

ومن هؤلاء الذين أقام الله بهم السنة في الإخلاص والمتابعة في هذه الجزيرة، الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر، فلقد تجرد للدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وجاهد في رد الناس إلىٰ ما كان عليه أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة وترك التعلق بغير الله والاعتقاد فيما دونه، متبعًا في ذلك سنة رسول الله ﷺ، وقيض الله له من آل سعود أنصارًا لدين الله ورسوله، عرفوا صدق موافقته للحق فنفذوا نصرته بالسلطان والعزيمة، وعقدوا الاتفاق بين نص الوحي وحد السيف، إذ لم ينفع اللين واستمر الظالم في ظلمه ولم يبال بالواعظ من الكتاب والسنة، فأخذوا علىٰ يديه وأجروا عليه ما يستحقه شرعًا من جهاد وقتال وإقامة حد أو تعزير حتىٰ ينزجر عن باطله، وهذه هي سنة المصطفىٰ ﷺ وسيرته، -كما أوضحناه في أول هذه الكلمة- تبدأ الدعوة بأسلوب اللين، فإذا لم ينفع اللين أخذ بأسلوب القوة علىٰ بصيرة وحكمة ووضع للأمور في مواضعها، حتىٰ زال -بحمد الله- ما كان بنجد والحرمين، وما يليهما من القباب والمشاهد والمزارات،

---

(١) (ص٨٥) الطبعة الثانية، دار اللواء، وانظر: كتاب «البدع والنهي عنها» لابن وضاح، وقد أسند هذه الخطبة إلىٰ عمر بن الخطاب ﷺ مع زيادة واختلاف يسير في بعض ألفاظها.
انظر: ص(٢-٣) من الكتاب المذكور.

والمغارات والأشجار التي يتبرك بها العامة، ويصرفون لها ما هو من أنواع العبادة؛ بل هو العبادة، كالدعاء ونحوه، ومحيت آثار الجاهلية من تقلد الأوتار والتعاليق الشركية وألزم الناس بإقام الصلاة وسائر أركان الإسلام وشرائعه وأنكر ما أحدثه المتصوفة وضُلَّال المبتدعة، من البدع والمعاصي التي اتخذوها دينًا وقربة، وكرهوا لأجلها سماع كلام الله وكلام رسولهﷺ.

ولذا صنع الله لآل سعود من عظيم صنعه، وأظهر لهم من الفضائل والدولة ما عزوا به على سائر الأقران، وبسط لهم الأمن، ورزقهم طاعة الرعية، وانتظام أمور الولاية، ووضع في قلوب من عاداهم الرعب العظيم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[١].

ثم إنه حصل اختلاف وفتور في أهل الإسلام أدال الله بسببه على أهل التوحيد أعداءهم، على يد محمد علي طاغية مصر، وهي أشبه ما تكون بالحروب الصليبية.

قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف: «حدث من فتنة الشهوات ما أفسد على الناس الأعمال والإرادات، وجرى من الابتلاء والتطهير ما يعرفه الفطن الخبير»[٢].

ثم إن الله بفضله وكرمه ورحمته الخاصة عاد على أهل التوحيد بعائدته، ومن ذلك أن وفق الله الإمام عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وأبا الملوك

---

(١) سورة النور، آية:٥٥.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٦٩)، طبعة المكتب الإسلامي الأولى.

الميامين للسير على سنة سلفه الصالحين، من نصرة الإسلام وإحياء السنة وقمع الشرك وإماتة البدع، وتوحيد الرعية بالتوحيد، وتأمين الطرق وسبل الحجيج، وإقامة حدود الشريعة.

قال الشاعر:

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمن سبل بيننا وشعاب[١]

وقد وفق الله علماء الدعوة السلفية، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ثم الشيخ محمد بن إبراهيم، أن وقفوا منه مواقف سلفهم الصالح من سلفه الراشد حين بايعوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقبل منهم ذلك ووفى لهم، حتى صرنا -ولله الحمد- ننعم في ظلال عقيدة السلف الصالح بوحدة سعودية آمنة، في رخاء عيش وعافية، لا تزال -إن شاء الله تعالى- ما دمنا على سنة سلفنا الصالح من علماء المسلمين وأنصار التوحيد من آل الشيخ، وتلاميذهم، وآل سعود ورجالهم، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وإن الذي نعتقده في قلوبنا، وندين به لربنا، وهو معلوم من دين الإسلام بالضرورة أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة[٣].

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين (ص٨٤).

(٢) سورة الأنفال، آية:٥٣.

(٣) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٧٠-٢٧٧)، وحكم الانتماء للشيخ بكر أبو زيد (ص٥٩) الطبعة الثانية.

قال الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله-: «وهذه الثلاثة متلازمة آخذ بعضها ببعض، فلا قوام لسوق الإسلام، وقيام جماعة المسلمين، وصلاحهم في معاشهم ومعادهم تحت ولاية إسلامية ذات شوكة ومنعة إلا بهذا»[١].

وقال أيضًا: «...إذا كان المسلم في ولاية إسلامية فيها هذه الثلاثة متلازمة، فإنه ما لم يظهر كفر بواح لا يجوز له تفريق جمع المسلمين بإيجاد حزب إسلامي أو جماعة إسلامية على هذه الأرض التي حالها كذلك: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، فهو في حقيقة حاله عنوان تفرق واختلاف: شق لعصا الطاعة، وتفريق الجماعة، وشرود عن جماعتهم»[٢].

ونحن في هذه البلاد -ولله الحمد والمنة- في هذا العصر ننعم بتلك الثلاثة بوصف لا نظير له في البلدان الأخرى: ننعم بالإسلام، وبجماعة المسلمين، تحت ولاية إسلامية، ولا نرى كفرًا بواحًا، فلا يجوز لأحد من المسلمين في هذه البلاد السعودية المسلمة الآمنة أن يوجد حزبًا ينتمي إليه كحزب الإخوان المسلمين، ولا جماعة ينتمي إليها كجماعة التبليغ؛ لأن ذلك شق لعصا الطاعة، وتفريق للجماعة وهو بمثابة خرق في سفينة نجاتهم يسبب غرقها أو يهددها بالخطر والغرق.

من أجل ذلك أحببت أن أشارك أخي في الله فضيلة الشيخ: سعد بن عبد الرحمن الحصين بهذه المقدمة، لما كتبه في هذه الرسالة القيمة، التي جعل عنوانها: «حقيقة الدعوة إلى الله، وما اختصت به جزيرة العرب، وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية

---

(١) حكم الانتماء (ص٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص٦٤).

الوافدة إليها». وبين فيها باختصار: الموازنة العادلة بين منهج دعوة رسول الله ﷺ إلىٰ الله وبين مناهج تزعم أنها تدعو إلىٰ الله.

وجميل أن يركز -حفظه الله- بيانه علىٰ جزيرة العرب، لأنها آخر هدف يستهدف، لتحويلها ميدانًا لمصارعة دعوة رسول الله ﷺ بدعوات دخيلة أجنبية عنها، وإن كانت تتظاهر بلباسها، وتخفي خلافها الذي ستبديه حينما تواتي لها الفرصة، كما هو شأن الغزو الفكري، من الماسونية والتنصير، والاستعمار قديمًا وحديثًا، يتلون ألوانًا مذهلة حتىٰ إذا واتته الفرصة أشاع الفتنة وأسفر عن حقيقته الكالحة الخبيثة، وسعىٰ إلىٰ بلوغ أهدافه السافلة.

وكذلك أهل البدع فقد قال فيهم الإمام البربهاري، -وهو من تلاميذ أصحاب الإمام أحمد-: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رءوسهم وأيديهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما أرادوا»[1].

وجميل أيضًا أن يسلط ميزانه العادل علىٰ جماعة التبليغ، وعلىٰ حزب الإخوان المسلمين، لأن كلًّا منهما قد انطلقت من خارج الجزيرة العربية تزعم الدعوة إلىٰ الله، وتوجهت نحو الجزيرة قبل أن تستدعيها الحال، وقبل أن تفرغ من إصلاح بلادها إصلاحًا يساوي ما تتمتع به المقصودة: من إصلاح التوحيد ونصرته، فلا يزال في بلدانهم ظهور الشرك بالقبور والمقامات واضطراب أمور الناس خصوصًا المسلمين، فهي أحوج بما يدعيه هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي (٢/ ٣١). الطبعة الأولىٰ.

أما بلادنا السعودية -ولله الحمد والمنة- فلا يزال أمر التوحيد فيها قائمًا، وأمن أهلها مستتبًّا، والدعوة النبوية إلىٰ الله تعالىٰ إنما تنطلق منها إلىٰ سائر البلدان الأخرىٰ، التي ما زالت في مستوىٰ متدنٍّ لم يرتق إلىٰ الواقع في السعودية، من إفراد الله بالعبادة وتطبيق الشريعة، وإنا لنرجو أن تدرك تلك الجماعات الدعوية الخطأ، وتطرح التعصب والكبر والتحزب والحسد وتسعىٰ بإخلاص إلىٰ التصحيح والإصلاح، علىٰ هدي الرسول ﷺ، فنكون أول المستجيبين لداعي الفلاح والنجاح إلىٰ الله علىٰ بصيرة بريئين من الشرك وأهله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وإن في كلٍّ مِن منهجَي جماعة التبليغ والإخوان المسلمين من المخالفات لمنهج رسول الله ﷺ أمورًا خطيرة واضحة لمن تدبر وأنصف وسبر عن علم وبصيرة سواء في العقيدة والتوحيد، أو في السلوك والهدي.

وقد أوضحت هذه الرسالة المفيدة جانبًا مهمًّا من هذا، كما قد بذل فضيلة الشيخ: سعد جهدًا مشكورًا مفيدًا في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، واحتج علىٰ المخالفين بأقوال شيوخهم وعلمائهم التي ميز زيفها بفرقان الوحي النبوي فلم يعد الصواب في النقد؛ بل وفق بحمد الله أيما توفيق فجزاه الله خير الجزاء وتقبل منا ومنه، وهدانا وإخواننا المسلمين إلىٰ صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

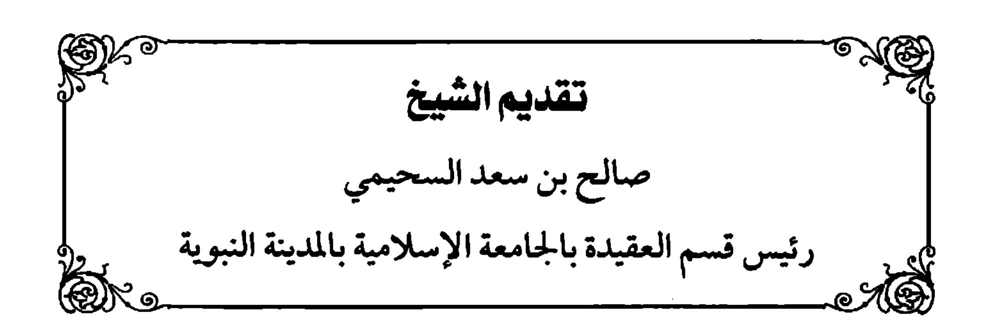
---

(١) سورة يوسف، آية:١٠٨.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

كتبه الفقير إلىٰ الله تعالىٰ

صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود



تقديم الشيخ

صالح بن سعد السحيمي

رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه..

وبعد:

فقد كثر القيل والقال، وكثر السؤال عن الجماعات التي تنتسب إلى الدعوة الإسلامية في هذا العصر، وذلك لكثرتها وتباين مناهجها واختلاف مشاربها، الأمر الذي فرق شمل المسلمين وجعلهم شيعًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد أصبح المسلمون يتساءلون من يتبعون وبمن يقتدون في خضم هذه الجماعات المتناقضة، التي بلبلت أفكارهم ومزقت كيانهم وفرقت كلمتهم، وحالت بينهم وبين السير على منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله تعالى.

ونقول: إن تعدد هذه الجماعات ناتج عن اختلاف عظيم في الأسس والمبادئ

التي قامت عليها تلك الجماعات، و(إن تعدد الأحزاب في أي مجتمع يعني أن هناك أمورًا اجتماعية تتعارض فيها وجهات النظر وتختلف فيها الآراء، بحيث لا يمكن الوصول إلىٰ نقطة يقتنع بها الجميع، بل إن ما يراه أحد الأحزاب خيرًا يراه الآخر شرًّا، وما يراه أحدها سعادة يراه الآخر شقاء)[1].

ومن هنا نقول أيضًا: إن الإسلام يمقت جميع الروابط التي تقوم علىٰ أحلاف حزبية أو طائفية مهما ادعىٰ أصحاب تلك الأحلاف من حسن النية وسمو المقصد؛ فقد ربط الإسلام المسلمين برابطة عظيمة بحيث لا يمكن لأي تنظيم وضعي مهما حصل له من القوة والدقة أن يصل إلىٰ مثلها، وإن العلاقة أو الأخوة الإسلامية هي أساس الولاء والبراء في الإسلام، فالمسلم ولي المسلم سواء عرفه أو لم يعرفه؛ بل ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وهذا يعني أن الإسلام لا يتحمل في داخله تنظيمًا آخر بحيث تكون أسس ذلك التنظيم وقواعده أساسًا للولاء والبراء، لأن هذا النوع من التنظيم يقتضي أن من انتظم فيه يستحق العون والنصرة وغيرها من الحقوق، مع أن الإسلام أعطىٰ المسلم جميع هذه الحقوق لمجرد كونه مسلمًا لا لسبب آخر.

وبهذا يتبين معنىٰ قولهﷺ: **«لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»**[2]. وذلك لأن الإسلام لما قضىٰ علىٰ جميع المواد التي كانت أساس الولاء والبراء في الجاهلية، وجعل الإسلام نفسه مادة الولاء والبراء، وجعل

---

(١) الأحزاب السياسية في الإسلام لصفي الرحمن المباركفوري (ص١٩).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٤/ ٤٧٢)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٦١) كتاب فضائل الصحابة.

جميع المسلمين سواسية في الحقوق، لم يبق عنده مجال لتعدد الجماعات والتكتلات المتفرقة، بحيث لا يكون لإحداها حقوق وعلاقات بالأخرىٰ حتىٰ يحتاج إلىٰ عقد التحالف بينهما.

والجهل بمقاصد الشريعة يقتضي وجود شعب من الآراء مختلفة، وسبل متفرقة، فإذا اتبع كل أناس سبيلاً تفرقوا، ولو كانوا علىٰ سبيل واحد لما تفرقوا، لأن الإسلام واحد وأمره واحد، فاقتضىٰ أن يكون حكمه الائتلاف التام لا الاختلاف، وهذه الفرقة المشعرة بتفرق القلوب مشعرة بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[١].

فبين أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف علىٰ التعليق بمعنىٰ واحد، وهذه الجماعات المتعددة لو كان ما تدعيه صحيحًا من أنها جميعًا علىٰ الكتاب والسنة لما تفرقت لأن الحق واحد، لا ثاني له وتعددهم هذا دليل قاطع علىٰ اختلافهم، واختلافهم ناتج عن تعلق كل فرقة بحبل غير حبل الأخرىٰ، حينئذٍ لابد من الاختلاف والتفرق والتدابر[٢].

وإن المتتبع لهذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر وما هي عليه من مناهج يمكنه أن يخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: اتفاق هذه الجماعات علىٰ إهمال الدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة بدعوىٰ أن هذا المسلك يفرق الأمة، وكأن الدعوة إلىٰ العقيدة هي سبب تفرق الأمة، وذلك

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

(٢) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة لسليم الهلالي وزياد الدبيج (ص٣٢).

يخالف المنهج الذي جاء به النبي ﷺ، وسار عليه أصحابه من بعده، وكذلك من تبعهم بإحسان.

ثانيًا: الجهل المطبق بأحكام الشرع لدىٰ هذه الجماعات؛ بل يصل إلىٰ حد الجهل بأبسط قواعد الإسلام.

ثالثًا: إضفاء هالة من المديح والثناء علىٰ زعماء تلك الجماعات حتىٰ ولو كانوا جهالاً أو ليسوا طلبة علم فضلاً عن أن يكونوا من الراسخين فيه.

رابعًا: إيهام الجاهل بأنه عالم ومؤهل للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ محتجين بقول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[١]. ولكنهم ينسون، أو يتناسون قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث نفسه: «**...ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

ولا شك أن الحديث صحيح وأن كل مسلم عليه واجب أن يبلغ ما علم علىٰ نحو ما أسلفنا، لكن بعد أن يكون مؤهلاً، لأن يكون ممن قال فيهم النبي ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وحفظها وبلغها**»[٢].

والتبليغ: هو تعليم ما يعلمه الشخص من العلم الشرعي والإرشاد إليه هو غير الدعوة إلىٰ الله بمفهومها الواسع العام؛ فهذا إنما يكون لأهل العلم والفقه والبصيرة، قال

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٥)، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٦٨)، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، سنن الترمذي (٥/ ٣٣-٣٤)، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، وابن ماجه (١/ ٨٤-٨٦): المقدمة، باب من بلغ علمًا، (٢/ ١٠١٥): كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، وأحمد (١/ ٤٣٧)، (٣/ ٢٢٥)، (٤/ ٨٠، ٨٢)، (٥/ ١٨٣).

الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾(١).

وأما أن يتصور أحد أن مجرد الانتساب إلىٰ الجماعات والبيعات ومباشرة طقوسها كالخروج والسياحة في الأرض وإلقاء البيانات التي لا تعدو أن تكون حشوًا من القصص الخيالية والرؤىٰ المنامية -والكرامات المدعاة- علىٰ طريقة الصوفية، والتهييج السياسي ضد السلطة، والحكام، وتقديس المناهج الحزبية المبتدعة، ورموزها من الأشخاص.

تلك المظاهر التي يضلون بها العامة، ويبهرجون بها علىٰ ضعاف الإيمان والجهلة؛ هذا بلا شك تصور خاطئ؛ بل هو جهل فاضح وزلل فادح لا يمكن أن يصدر من ذي بصيرة وعلم وعقل راجح.

خامسًا: الخلط بين السنن والبدع واختفاء معالم السنن لدىٰ هذه الجماعات، بل وجود هذا التحزب والانتماء إلىٰ الجماعات بدعة لا سابقة له في الإسلام.

سادسًا: استقطاب كل الفرق التي تدعي الإسلام وانضواؤها تحت لواء تلك الجماعات بدون تمييز بين سني ورافضي وباطني وصوفي غالٍ فهم كحاطب ليل يجمع ما هب ودب فهو يحطب العقرب والحية مع العود والخشب.

هذا غيض من فيض مما يعد قاسمًا مشتركًا بين الجماعات الحزبية.

وأقول: إن علىٰ هذه الفرق أو الجماعات الإسلامية الدعوية -كما تسمي نفسها- أن تدخل في جماعة الحق: جماعة المسلمين الواحدة.

(١) سورة يوسف، آية:١٠٨.

وأن تأخذ بالمنهج الحق الذي بعث الله به نبيه محمدًاﷺ وهو الانطلاق في الدعوة من الأساس المتين والركن الركين، ألا وهو توحيد الله الخالص، والخالي من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وإن أية دعوة تبنىٰ علىٰ غير هذا الأساس فمصيرها إلىٰ الفشل الذريع لا محالة.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

جاء في كتاب: «**منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل**»، لشيخنا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي مدخلي:

«...عرفنا مما مضىٰ منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ التوحيد ومحاربة الشرك وأسبابه، وأنه منهج قائم علىٰ العقل والحكمة والفطرة، وعرفنا أدلة ذلك جملة وتفصيلاً، من نصوص الكتاب والسنة، ومن الناحية العقلية؛ فلا يجوز للدعاة إلىٰ الله في أي عصر من العصور لا شرعًا ولا عقلاً العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، واختيار سواه:

أولاً: أن هذا الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم.

والله واضع هذه المنهج هو خالق الإنسان والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٩.

(٢) سورة الملك، آية: ١٤.

وهو الحكيم العليم في خلقه وشرعه، وقد شرع لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانيًا: أن الأنبياء قد التزموه وطبقوه، مما يدل دلالة واضحة أنه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد:

١- نبيًا افتتح دعوته بالتصوف.

٢- وآخر بالفلسفة والكلام.

٣- وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجًا واحدًا، واهتمامهم واحد، بتوحيد الله أولاً وفي الدرجة الأولىٰ.

ثالثًا: أن الله قد أوجب علىٰ رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، ويسلك منهجهم، فقال بعد أن ذكر ثمانية عشر منهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[1].

وقد اقتدىٰ بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به.

رابعًا: ولما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- زاد الله الأمر تأكيدًا، فأمر نبينا محمدًاﷺ باتباع منهجه فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2].

والأمر باتباعه يشمل الأخذ بملته التي هي التوحيد ومحاربة الشرك ويشمل

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٢) سورة النحل آية: ١٢٣.

سلوك منهجه في البدء بالدعوة إلى التوحيد، وزاد الله تعالى الأمر تأكيدًا أيضًا، فأمر أمة محمد ﷺ باتباع ملة هذا النبي الحنيف، فقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

إذن؛ فالأمة الإسلامية مأمورة باتباع ملته، فكما لا يجوز مخالفة ملته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامسًا: قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

فإذا رجعنا إلى القرآن أخبرنا أن كل الرسل كانت عقيدتهم عقيدة التوحيد وأن دعوتهم كانت تبدأ بالتوحيد وأن التوحيد أهم وأعظم ما جاءوا به.

ووجدنا أن الله قد أمر نبينا باتباعهم وسلوك منهاجهم، وإذا رجعنا إلى الرسول وجدنا أن دعوته من بدايتها إلى نهايتها كانت اهتمامًا بالتوحيد ومحاربة للشرك ومظاهره وأسبابه»[3].

وما دمنا بصدد الكلام عن تعدد الجماعات وضررها على الإسلام والمسلمين فإني أنقل لك أخي القارئ ما كتبه فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «حلية طالب العلم»، بعنوان: لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها،

---

(١) سورة آل عمران، آية:٩٥.

(٢) سورة النساء، آية:٥٩

(٣) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل (ص٩٠، ٩٢) لفضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي.

فإنه كلام مفيد ما عليه من مزيد، قال -وفقه الله-:

«أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام، فيا طالب العلم -بارك الله فيك وفي علمك- اطلب العلم، واطلب العمل وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف، ولا تكن خراجًا ولاجًا في الجماعات فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، و«**إن يد الله مع الجماعة**»، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام.

وأعيذك بالله أن تتصدع فتكون نهابًا بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علم على الجادة تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم، وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر -رحمك الله- أحزابًا وطوائف طاف طائفها ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرًا، وتفرقه هدرًا، إلا من رحمه ربك فصار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم»[1].

وقال شيخنا فضيلة الشيخ الدكتور: محمد أمان بن علي الجامي، في كتابه: «**مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث**»:

---

(١) حلية طالب العلم، للشيخ بكر بن زيد بن عبد الله أبو زيد (ص٦١-٦٢).

«توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلىٰ الله، ولكنها في الغالب تتخبط علىٰ غير بصيرة، فالواجب علىٰ دعاة الحق أن يكونوا علىٰ بصيرة فاهمين ما يدعون إليه ومتصورين له ومؤمنين به، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

هاتان صفتان لأتباع محمد -عليه الصلاة والسلام-:

الصفة الأولىٰ: القيام بواجب الدعوة.

الصفة الثانية: أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة.

البصيرة: هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلىٰ الناس دون تملق ولا نفاق».

وبعد أن أشار الشيخ إلىٰ التنافر العظيم الواقع فيما بين تلك الجماعات، وذكر أنها هي بحاجة إلىٰ دعوة وتبصير، وتأهيل للدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، قال -حفظه الله-:

«وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية وهي ذاتها محنة من المحن ومشكلة من المشكلات للدعوة والدعاة معًا إذا هي بقيت علىٰ وضعها ولم تُعِدِ النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها فخطرها علىٰ الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها، فعلىٰ هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا والذين انتشر الإسلام بدعوتهم؛ بل عليهم أن يفهموا الدين

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

كما فهم أولئك السادة ويسيروا سيرتهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب لدعوة أي نجاح أو أي تقدم؛ لأنه عمل لم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح.

نعم قد ينطلي هذا الأسلوب على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتهم لكثرة لمعان الأسلوب ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح والتوفيق فعليهم أن يراقبوا الله وحده لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان»[1].

وما دمنا بصدد الكلام على بدعة التحزب والانتماءات وكثرة الجماعات المختلفة في مناهجها والمتنافرة في أساليبها، فيناسب هنا ذكر كلام نفيس لابن القيم -رحمه الله- إذا نظر فيه القارئ أحس وكأن ابن القيم -رحمه الله- يعايش هذه الجماعات التي ظهرت في هذا العصر حيث يقول عند كلامه على علامة أهل الغبودية: «العلامة الثانية: قول: (ولم ينسبوا إلى اسم) أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق وأيضًا: فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

وأما العبودية المطلقة، فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها فإنه

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، للدكتور محمد أمان بن علي الجامي (٢٤-٢٥)، و(٢١٨-٢١٩)، ضمن كتاب أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام.

مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه؟ قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة، وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[1].

وعن نسبه؟ قال:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه　　　إذا افتخـــروا بقـــيس أو تَمـــيم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء وترعى الشجر حتى تلقى ربها.

وا حـسرتاه تقـضَّى العمـر وانصرمت　　　ســاعاته بـين ذل العجــز والكــسل

والقــوم قــد أخــذوا درب الـنجاة وقــد　　　ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل»[2]

ويستطرد ابن القيم إلى أن يقول: «وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة.

يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها، فمن الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية لا يمشي

---

(١) سورة النور، آية: ٣٦، ٣٧.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٧٤).

غيرها أو بزي وهيئة لا يخرج عنها، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلىٰ منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلىٰ غيره، وإن كان أقرب إلىٰ الله ورسوله منه.

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلىٰ، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل ومنزلتهم منها أبعد منزل فترىٰ أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعًا له عن الطريق فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولاً وشرًّا، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك: أخرجوه من بينهم، وعدوه غيرًا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة»[(١)].

ويعني الإمام ابن القيم بقوله: «وقد سئل بعض الأئمة عن السنة فقال: ما لا اسم له سوىٰ السنة»: ما نقله القاضي عياض عن الإمام مالك حيث قال: «وسأل رجل مالكًا: من أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري»[(٢)]. وما جاء في معناه من أقوال السلف.

فالالتزام إنما يكون دائمًا وأبدًا بالمنهج الإسلامي... بالفكرة... بما شرعه الله لنا، وليس الالتزام بالأشخاص، أو التنظيمات، أو الجماعات، التي هي محل للخطأ والخلل والأمراض والعلل ومنها: تتسلل الأدواء والانحرافات إلىٰ الحياة الإسلامية.

ومن ثم تكون العصمة الكاذبة التي تخلع علىٰ بعض الأشخاص والمبررات

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧٦).

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٧٢).

المضحكة التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم، وهذا بدء مرحلة السقوط، حيث تبدأ عملية تخديم الأهداف والقيم لا خدمتها، أو تستبد بهم حالات اليأس، أو تمارس عمليات الإرهاب الفكري، أو الفساد السياسي، فتفصل الأحكام علىٰ الأشخاص، وتوصل الحيل الشرعية حتىٰ يصبح لها مؤلفات، وتؤول الأحاديث والآيات علىٰ مقتضىٰ الأهواء.

ولا يجوز أن يظن أحد أن الدعوة إلىٰ التزام المنهج مقياسًا وميزانًا للحق والباطل، وعدم الالتزام بالأشخاص الذين يخطئون ويصيبون: ارتداد إلىٰ الفردية، وبعثرة للجهود، وابتعاد عن جماعة المسلمين كافة، فهذا ليس من الأمور الاختيارية بالنسبة للمسلم، وإنما هو في حقيقته تصويب لمسيرة حياة المسلمين الجماعية، وإلغاء للإقطاعات البشرية من حياة الناس، والتزام بالإسلام الذي بينه رسول الله ﷺ بقوله: «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وافترقا عليه**»[1].

فالاجتماع علىٰ المنهج، وليس علىٰ الأشخاص، والافتراق أيضًا علىٰ المنهج، وليس علىٰ الأشخاص، إلا في حالة العمىٰ العقلي، وعدم الإبصار الصحيح، بسبب التعصب لفئة، أو شخص، أو عرق، أو قوم، أو في حالة عدم وجود العزمة الأكيدة علىٰ الالتزام بهذا الدين»[2].

وإن مما يجب التنبيه إليه: أن هذه الجماعات الحزبية ترىٰ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفرق صفوف الأمة ويمزق كيانها وهذا قول فيه مغالطة خطيرة

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١/ ١٤٣)، كتاب الأذان.

(٢) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي (٢١-٢٢) عمر عبيد حسنة.

وتناقض عجيب، فإن من أعظم وسائل نشر الدين، وظهور الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عجبًا لهذا القول، إن قائله يشبه من يقول: الماء لا يروي والطعام لا يشبع.

وخلاصة القول: إنه من فساد النظر الاعتقاد بأن عملية النقد، والمناصحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحدث تشويشًا في الصف الإسلامي، واضطرابًا في العمل.

ذلك أن الصف، أو الجماعة التي تخشىٰ من الحوار، وتخاف من المناصحة، ويلبس الشيطان علىٰ بعض أفرادها بأن الأمر بالمعروف، ومحاربة المنكر يهدد كيانها، جماعة لا يوثق بها، ولا تستحق البقاء، ولا تستأهل حمل رسالة الإسلام التي من أولىٰ متطلباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففاقد الشيء لا يعطيه.

إن مطاردة عمليات المناصحة، ومحاصرتها، والقضاء عليها، تنطوي علىٰ خطورة كبيرة، تؤدي بأصل القضية في سبيل استبقاء الصورة الشكلية للعمل والدعوة، حيث تنقلب الوسيلة -التعاون في إطار الجماعة للوصول إلىٰ قدر أكبر من الخير- غاية بحد ذاتها.

إن التسلط الفردي والإرهاب الفكري الذي يقع فيه أحيانًا بعض العاملين للإسلام -عندما يغيب عن ساحة العمل البعد الإيماني الغيبي، وما يقتضيه من خفض الجناح، ولين الجانب، والخلق الكريم- يؤدي إلىٰ لون من التشرذم، وضرب من الطائفيات الجديدة، تتمزق معها رقعة التفكير، وتنمو الجزئيات، وتغيب الكليات، ويضطرب سلم الأولويات، ويضيع تصنيف المشكلات ويتوقف العمل المنتج،

وتنقلب الوسائل إلى غايات -كما أسلفنا- وتتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص لا تُرى القضية الإسلامية إلا من خلالهم، وينقلب جهد العمل إلى صناعة المبررات، وتتغلب عملية صناعة التبرير على عقلية دراسة أسباب التقصير، ولا تعالج هذه القضية إلا من خلال ممارسة الحرية الفكرية، والحوار الشامل، والتزام أدب الخلاف الإسلامي، وجعل المشروعية للمبادئ والأفكار، وليس للوسائل والأشخاص.

إن العقيدة مقرها القلب، ولا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الدليل، والقناعة بالشيء هي الدافع لممارسته، والله تعالى خاطب النبي ﷺ بأن الغاية من ابتعاثه إلحاق الرحمة بالعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(١). وقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾(٢).

وقال مخاطبًا نبيه أيضًا: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٣). وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٤). وهذه من الأبجديات الأولى في الدعوة إلى الله، وإلحاق الرحمة بالعالمين(٥).

ومن ثَمَّ فإن هذه الدعوات المعاصرة التي تنطلق في دعوتها من منطلق حزبي ضيق قد بَعُدَ بها ذلك كثيرًا عن منهج السلف الصالح؛ إذ إن هذه الجماعات لم تؤسس بناء دعوتها على توحيد الباري -جل وعلا-، وعلى العقيدة السلفية الصافية من

---

(١) سورة الأنبياء، آية:١٠٧.

(٢) سورة الغاشية، آية:٢٢.

(٣) سورة يونس، آية:٩٩.

(٤) سورة آل عمران، آية:١٥٩.

(٥) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي (٣٦-٣٧) عمر عبيد حسنة.

الشوائب -كما أسلفنا- ومن تأثر بتلك الدعوات -إن كان من أهل العقيدة أصلاً- لا يكون ولاؤه لها، ولا يكون فكره متفقًا معها بسبب سيطرة هذه المناهج علىٰ أفكاره حتىٰ ماتت العقيدة في نفسه فأصبح لا يدعو إليها، وإن كان يعتقدها، لكنه بَعُدَ عنها تحت تأثير المنهج الحزبي لأنه يوالي ويعادي علىٰ ذلك الفكر الضيق الذي بُني علىٰ غير أسس سليمة فلا يكون للعقيدة مكان ولا مجال في التطبيق العملي ولا تعطي ثمراتها الطيبة اليانعة، فهي لا تفيد معتقدها لأنها قد فقدت روحها فأصبحت بلا روح، كالجذوة التي استترت وانغمرت تحت الرماد.

وخطورة هذا الأمر لا تقل عن خطورة الجهل بالعقيدة، فإن من يعرف العقيدة ولا يدعو إليها كالجاهل بها سواء بسواء بل أسوأ حالاً ومآلاً، فعلينا أن نأخذ الإسلام علىٰ أنه عقيدة وشريعة، دين ودولة، وحدة متكاملة، كما أكمله الله وأحسنه لتتم علينا به النعمة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٢].

إنه لا صلاح لنا، ولا فلاح، ولا نجاح لدعوتنا أيضًا، إلا إذا بدأنا بالأهم قبل المهم، وذلك بأن ننطلق في دعوتنا من عقيدة التوحيد، نبني عليها سياستنا، وأحكامنا، وأخلاقنا، وآدابنا، ننطلق في كل ذلك من هدي الكتاب والسنة، بلا إفراط، ولا تفريط،

---

(١) سورة المائدة، آية:٣.

(٢) سورة البقرة، آية:٢٠٨.

ذلكم هو الصراط المستقيم، والمنهج القويم، الذي أمرنا الله تعالىٰ بسلوكه، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[2].

وقال رسول الهدىٰ ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»**[3].

ويقول الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[4].

هذا وإنه قد كتب الكثير من أهل العلم في بيان المنهج الصحيح الذي يتعين علىٰ المسلم سلوكه والتحذير من تلك الجماعات المتنافرة، ولقد كان لأخينا فضيلة الشيخ: سعد بن عبد الرحمن الحصين إسهام جيد مشكور في تجلية هذه الحقيقة فقد اطلعت علىٰ كتابه الذي سماه: «حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وما اختصت به جزيرة العرب، وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها».

وقد قرأته من أوله إلىٰ آخره فألفيته كتابًا نافعًا جيدًا وضع فيه النقاط علىٰ الحروف حيال موقف المسلم من جماعة التبليغ وجماعة أو حزب الإخوان المسلمين، واللذين لهما انتشار واسع في هذا العصر.

---

(١) سورة الأنعام، آية:١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٩).

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٦٧٦)، دار الكتاب العربي، تحقيق البجاوي.

الأولى: صوفية، نقشبندية، سهروردية، قادرية، جشتية، تنتهي بأصحابها إلى البيعة على هذه الطريقة الرباعية، وتحريف نصوص القرآن والسنة لا سيما ما يتعلق منها بالجهاد: فقد حملوها على مجاهدة النفس في الدعوة التبليغية والخروج التبليغي، والأسفار والسياحة التبليغية المبتدعة في الدين، ناهيك عما لديها من بدع أخرى وجهل مطبق بأبسط قواعد الإسلام والتنفير من العقيدة وأهلها والتحذير من العلم والعلماء والعمل للكسب بدعوى أن ذلك مشغلة عن الدعوة إلى الله، وهم يجهلون الأسس والأولويات التي لابد من معرفتها قبل القيام بالدعوة.

والثانية: صوفية: حصافية، سياسية، فكرية، تهتم بالمظهر ولو على حساب خراب المخبر، وتجمع في صفوفها من هب ودب فينتمي إليها السني، والصوفي، والرافضي بدعوى: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

ولقد أجاد الشيخ سعد -وفقه الله- في بيان حقيقة هاتين الجماعتين فهو يتكلم عن خبرة وعلم من واقع معايشته لهما واختلاطه بالخاصة والعامة من أتباعهما بحكم عمله وتخصصه في الدعوة إلى الله، إضافة إلى شهادات العدول على عوارهما وما تشتمل عليه كتب القوم مما يجل عن الحصر من الملاحظات والمؤاخذات، وبعد أن بين مناهج هاتين الجماعتين ختم هذا البحث القيم بنصيحة ثمينة لهما ولغيرهما من الفرق والجماعات والأحزاب بالعودة إلى المنهج الحق المستمد من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة إذ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وهذه العودة لا تتحقق إلا بالبدء بما بدأ الله به، وما بعث الله به رسله -عليهم الصلاة والسلام-، وهو تحقيق توحيد الله -تبارك وتعالى- وتخليصه من شوائب

الشرك والبدع والمعاصي والأخذ بأمور الإسلام كلها عقيدة وعبادة وسلوكًا، إذ الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ، وقد أوضح الشيخ -أثابه الله- جملة مما مَنَّ الله تعالىٰ به علىٰ أهل هذه الجزيرة ذلك من قيام دولتها علىٰ تحكيم شرع الله، وإقامة حدوده بعد إقامة توحيده، والعبودية الخالصة له ﷻ وحده، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله علىٰ منهج النبوة.

ومن خلو أرضها من: التماثيل، والنصب، والأوثان، والأضرحة، والمقامات، والمشاهد، والمزارات، ومن كل رمز يصرف له شيء من العبادة، والتعظيم مع الله، ومن كل ما يصرف عن عبادة الله.

وخلوها أيضًا من فشو البدع علىٰ اختلافها.. إلخ ما ميزها الله تعالىٰ به فضل منه تعالىٰ يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هذا مع ما ميزها به من اتخاذ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله شعارًا ورمزًا لها، مرفوعًا لا ينكس وعزيزًا لا يخفض.

إلىٰ ما شرفها به من وجود المقدسات فيها، والقيام بحماية وخدمة بيت الله الحرام، ومسجد رسوله -عليه الصلاة والسلام- والحدب علىٰ المسلمين في كل مكان ومناصرة قضاياهم، زادها الله شرفًا ورفعة، وسدادًا وتوفيقًا ورزقنا شكر نعمته وحسن عبادته.

فالواجب علىٰ جميع المسلمين لاسيما الدعاة إلىٰ الله الأخذ بهذه النصيحة، والعمل بها والعض عليها بالنواجذ إلىٰ أن نلقىٰ الله ﷻ، وإن هذا الكتاب نفيس لا يستغني عنه طالب العلم لما اشتمل عليه من دقة وتحقيق وفهم للواقع الذي يعيشه المسلمون

في هذا الزمان فجزىٰ الله مؤلفه خير ما يجزي به عباده الصالحين وأجزل له المثوبة، وأكثر من أمثاله ونفع به طلاب العلم العاملين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلىٰ ربه

صالح بن سعد السحيمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، [ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا]، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

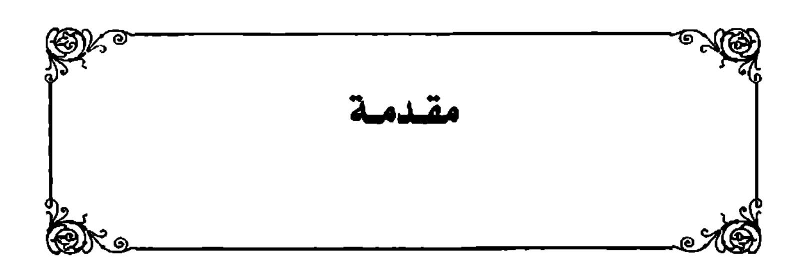
* * *

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية:١.

(٣) سورة الأحزاب، آية:٧٠-٧١.



مقدمة

لـم أرغب من قبل في أن أكون طرفًا في التجمعات الدينية التي أحدثت أو زادت شقة الخلاف بين الدعاة إلىٰ الله وشغلتهم بمناهجها الخاصة عن منهج النبوة في الدعوة إلىٰ سبيل الله علىٰ بصيرة.

ولكني قبل بضع عشرة سنة وجدت تيار «الصحوة الدينية» الذي اكتسح العالم الكافر، ثم المسلم وردَّ عددًا كبيرًا من الناس إلىٰ الدين الحق أو أديان الضلال، وجدته يدفعني إلىٰ طريق الدعوة الحديثة.

واخترت جماعة التبليغ إذ بدت لي بعيدة عن احتمال غرور طالب العلم بعلمه؛ لأن غالبية أهلها من العوام، وبعيدة عن احتمال طمع الموظف في المال؛ لأن أفرادها يتحملون نفقات دعوتهم، وبعيدة عن احتمال تطلع الحزبي إلىٰ السلطة؛ لأن عامة أهلها من المستضعفين الراغبين عن خوض معارك الزعامات الدنيوية.

وعشت بضعة أعوام من حياتي مع هذه الجماعة مشاركًا في نشاطها ومؤيدًا لها وداعيًا إليها ومدافعًا عنها التهم التي لم تثبتها لي الممارسة ولم ترافقها البينات التي تجيز الأخذ بها.

وفي يوم من أيام رجب عام أربعة وأربعمائة وألف من الهجرة (١٤٠٤هـ)

جاءني بالبينات على ثبوت اتهامها بالتصوف والخرافة والبدعة بل والشرك -من هو أعرف مني بهذه الجماعة، وأسبق مني إليها وأكثر التصاقًا بمناهجها ومشايخها؛ واعترف لي بمبايعته وعدد من أبناء جزيرة العرب، من الرجال والنساء لأميرها العام في دلهي على الطرق الصوفية الأربع في الهند وأطلعني على «تبليغي نصاب»، منهج التبليغ لغير العرب ونصوصه البدعية والخرافية والشركية.

ولم يكن بُدٌّ من قبول الحق بعدما تبين، وأعانني الله على تخطي حاجز التعصب للرأي السابق والحزب فبادرت إلى تحذير أهلها ومؤيديها، ولما رأيت إصرارًا على الباطل بادرت إلى تحذير غيرهم من أخطائها وأخطارها.

وقد رأيت ختام هذه الجولة من محاولة الإصلاح التي أرجو الله أن يجعل رائدها الحق برسالة أخيرة في الدعوة إلى الله توازن باختصار بين المنهج الذي اختاره الله لرسله وبين مجمل مناهج الدعوة الحديثة.

ورأيت تركيز الدراسة على «جزيرة العرب»، لأنها القدوة اصطفاءً من الله رب العالمين، وعلى «جماعة التبليغ»، وجماعة «الإخوان المسلمين» لأنهما من أكبر الجماعات المعاصرة وأنشطها وأحراها بالصلاح والنجاح لو أدركت الخطأ وطرحت التعصب والتحزب وسعت إلى التصحيح على هدي من شرع الله.

ولربما سأل سائل ممن تخطت هذه الدراسة حدودهم: لماذا يخص الدعاة بالنقد ومحاولة التصحيح؟ ألم يبق من الملمات ما هو أولى بذلك. كيد الكافرين والملحدين، الحكم بغير ما أنزل الله، الأراضي المغتصبة، الأقليات المسلمة المستضعفة في بلاد الكفر؟

وسأحاول الإجابة عن هذا الاعتراض الذي يقذفه الشيطان كثيرًا في وجه الدعوة إلىٰ الله علىٰ منهاج النبوة راجيًا من الله التسديد:

١- جميع كتب وخطب ومؤتمرات ما يسمىٰ بـ: «الفكر الإسلامي»، و«الثقافة الإسلامية»، موجه للقضايا المذكورة، فهي لا تشكو من الإهمال والتفريط، بل تشكو من الإغراق والإفراط، وفي المقابل لا نجد بينها ما ينبئ بأي قدر من الشجاعة في إنكار مظاهر الشرك والوثنية والبدعة التي لا يخلو منها مجتمع مسلم خارج جزيرة العرب، وهي أولىٰ بالإصلاح وأيسر وأقرب صلة بالجمهور الموجهة له وإليه.

٢- أغلبية من ينتسب إلىٰ الإسلام -صالحين أو فاسقين، موحدين أو مشركين- يطالبون بعودة الأراضي المغتصبة وبالحكم بما أنزل الله، ويلعنون الكفرة والملحدين، ولكن أكثرهم يلتزم بالبدع المحدثة في الدين، ويعيش الثقافة الملحدة، ولا يحكم بما أنزل الله في أهم أمور دينه ودنياه، وينافس بعضهم اليهود والنصارىٰ وطوائف الضلال في صرف أنواع من العبادة لغير الله والتقرب إلىٰ الله بالتوجه إلىٰ الأموات والتوسل بهم إليه وسؤالهم ما لا يجوز طلبه إلا منه سبحانه؛ بل وفي أحب البقاع إلىٰ الله، ويحكم في جميع أمره بما يمليه هواه وهوىٰ شيخه، وقائد حزبه ورئيس طائفته أو عشيرته وشيخ طريقته، ويعرض عن اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وفقه سلف الأمة.

فليس من الشرع ولا من العقل -والحال علىٰ ما ذكرته- أن يشغل المسلمون بأخطاء غيرهم عن أخطائهم، وبالأخطاء التي لا يملكون من أمرها شيئًا عن الأخطاء

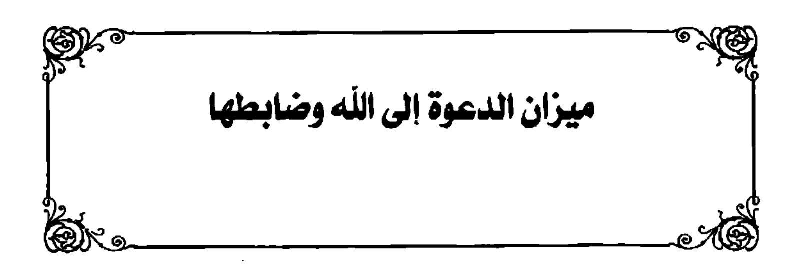
التي يستطيعون -ويجب عليهم- إصلاحها، وبالأخطار البعيدة عن الأخطار القريبة، وبتأكيد ما يرددونه من حقائق أو شائعات عن غيرهم عن تعلم ما جهلوا من دينهم وغاية حياتهم.

٣- خطأ الدعاة إلىٰ الله أعظم وأبعد أثرًا من خطأ الفساق، فالدعاة إلىٰ الله يظن فيهم -خطأ أو صوابًا- أنهم علماء بما يدعون إليه، ثقات فيما يقولون، قدوة صالحة فيما يعملون، وعلىٰ هذا تنتشر أخطاؤهم بانتشارهم، ثم ترسخ في القلوب والأعمال فتقاوم كل إصلاح.

ومن هنا صار أكثر المسلمين يتقرب إلىٰ الله بالبدعة والخرافة؛ بل وبالشرك بالله اقتداء بأفراد أو طوائف الضلال.

٤- وفضلاً عن كل ما تقدم، فالاعتراض المذكور أمر جدلي محض، فمن الذي لا يأمر إلا الدعاة بالمعروف؟ ولا ينهىٰ إلا الدعاة عن المنكر؟ إن محاولة رد الدعاة إلىٰ العقيدة الصحيحة والعبادة الصحيحة والدعوة الصحيحة مرحلة ثانية اكتشف الحاجة إليها من حاول تصحيح العقيدة والعبادة ونشر السنة والتحذير من البدعة والضلال عامة حيثما وجد أو وجد خطره، ثم تبين له أن بعض الدعاة سبب مهم من أسباب حدوث الانحراف أو استفحاله؛ بل إن أكثر الجماعات الإسلامية والطرق والطوائف المبتدعة في الدين بَنَتْ مناهجها علىٰ مخالفة شريعة الله في الدعوة إليه أو طورت لتساير ركب المخالفة.





ميزان الدعوة إلى الله وضابطها

الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالمجادلة بالتي هي أحسن، وبالقدوة الصالحة خير ما يوظف المسلم فيه نفسه ووقته وماله استعدادًا ليوم الحساب والجزاء، فقد اصطفىٰ الله لها خير خلقه من أنبيائه ورسله وأتباعهم بإحسان.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[3].

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4].

---

(١) سورة فصلت، آية:٣٣.

(٢) سورة يوسف، آية:١٠٨.

(٣) سورة النحل، آية:١٢٥.

(٤) سورة البقرة، آية:٤٤.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[(١)].

من هذه الآيات يؤخذ الميزان العادل الذي لم يختلف اثنان من الأئمة في صحته للحكم علىٰ صواب أو خطأ منهاج الدعوة في أي مكان، وأي زمان وعلىٰ أي حال، وهو:

١- مطابقة «سبيل رسول الله ﷺ» في إبلاغ رسالة ربه: تقديم ما قدم وتأخير ما أخر، الاحتياط والحزم فيما لم يوسع فيه والتوسيع فيما وسع فيه، بإذن الله.

٢- أن يكون الداعي إلىٰ الله «علىٰ بصيرة» بما يدعو إليه، أي: علىٰ علم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده وفقه علماء السلف.

٣- أن يقوم منهاج الدعوة إلىٰ الله علىٰ «الحكمة» في كل حال وهي السنة..

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[(٢)] وما ذكره بعض المفسرين من أنها الدين أو الشرع أو الإصابة في القول لا يخالف ذلك.

٤- أن يقوم أسلوب الدعوة علىٰ «الموعظة الحسنة»، و«المجادلة بالتي هي أحسن» في الموضع المناسب لكل منهما.

٥- التزام الداعي إلىٰ الله في حياته «بالعمل الصالح» الشرعي الذي يدعو إليه

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٤.

جامعًا بين القول الحسن والعمل الصالح والقدوة الحسنة.

منهاجها:

يعرف كل متتبع لسبيل رسول الله ﷺ في الدعوة إلىٰ الله أن منهاجها الشرعي قام علىٰ:

١- إعداد الله لرسوله بالعلم:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2].

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[3].

٢- البداية بإفراد الله بالعبادة، ونفيها عما سواه، والتركيز علىٰ ذلك في جميع مراحل الدعوة حتىٰ اللحظات الأخيرة من حياة النبي ﷺ كما هي سنة الله في بعثته لجميع رسله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

٣- لم يشرع الله الصلاة -أهم العبادات، وأول ما شرع منها بعد الشهادتين- إلا فيما بين السنة العاشرة والحادية عشرة للبعثة -علىٰ الراجح من

(١) سورة العلق، آية:٣- ٥.

(٢) سورة النجم، آية:٤-٥.

(٣) سورة النساء، آية:١١٣.

(٤) سورة النحل، آية:٣٦.

أقوال العلماء في تحديد سنة الإسراء والمعراج-.

٤- رفع الله الحرج عن هذه الأمة في دينها فيما نسيه المسلم أو عجز عنه أو أكره عليه (مما يعذر فيه بالإكراه) أو أخطأ فيه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١].

وشرع قصر الصلاة وجمعها والتيمم وتأخير الصيام في الظروف والحدود الشرعية، وبنىٰ الأمر علىٰ اليسر والسعة.

قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢].

واستثنىٰ الله أمر العقيدة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]. فلا عذر في مخالفة العقيدة بالشهوات والغرائز الداخلية ولا بالحاجة والمشقة ولا سبيل للإكراه الخارجي إلىٰ القلب محل الاعتقاد، ومنبع الإخلاص والتوحيد.

٥- وأدىٰ النبي ﷺ رسالة ربه علىٰ النهج الذي اختاره له، وحاشاه أن يحيد عنه، وصدع بتوحيد الألوهية، وزجر عن الشرك، قبل الأمر ببقية أركان الإسلام، وقبل تحريم الخمر، ووضع الربا، وفرض الحجاب؛ وقبل تكوين دولة الإسلام.

واستعمل أسلوب الاحتياط والحزم في إنكار كل قول أو فعل يحتمل الشرك بالله وإن صدر ممن يظن به قوة الإيمان، فقال لرجل في مجتمع الصحابة: «أجعلتني لله

---

(١) سورة الحج، آية:٧٨.

(٢) سورة البقرة، آية:١٨٥.

(٣) سورة النساء، آية:٤٨، ١١٦.

ندًّا؟» إنكارًا لقوله: «ما شاء الله وشئت»[١].

وأنكر علىٰ خطيب الوفد قوله: «ومن يعصهما -أي: الله ورسوله- فقد غوىٰ، فقال له: **بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**»[٢].

وعندما طلب منه من كانوا معه أن يجعل لهم شجرة مثل ذات أنواط التي كان الناس في الجاهلية يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم بيّن لهم أن طلبهم ذلك مساوٍ لقول قوم موسىٰ له[٣]: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وفي المقابل استعمل أسلوب اللين في الإنكار علىٰ من تبول في المسجد النبوي كما في الحديث المتفق عليه[٥].

---

(١) حسن أخرجه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت » (٣٤٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٠٥) من حديث ابن عباس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٩)، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عدي بن حاتم الطائي ﷺ.

(٣) صحيح، أخرج الشافعي في «مسنده» (٢٣-بدائع المنن)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٦٣)، والحميدي (٨٤٨)، والطيالسي (١٣٤٦)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، والترمذي (٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي ﷺ، وانظر: «النهج السديد» (ص٦٤).

(٤) سورة الأعراف، آية:١٣٨-١٣٩.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٢٢-مع الفتح)، في كتاب الوضوء، باب ترك النبيﷺ الأعرابي حتىٰ فرغ من بوله في المسجد، ومسلم (٢٨٤)، و(٢٨٥) في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد.

ومع الرجل الذي كان يؤتىٰ به مرات فيجلد في الخمر[(١)]، والشاب الذي استأذنه في الزنا[(٢)].

وأخبر أبا ذر أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وإن زنىٰ وإن سرق، وذلك في الحديث المتفق عليه[(٣)]. وأخبر عن ربه في الحديث القدسي أنه قال: «**يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٤)].

كما أخبر أن: «**حق العباد علىٰ الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»[(٥)].

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٧٥-مع الفتح) في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

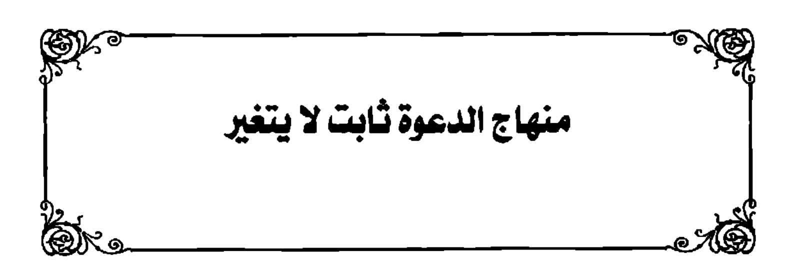
(٢) صحيح أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦-٢٥٧)، والطبراني (٨/ ١٩٠، ٢١٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٩): رجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (٣٧٠) عن إسناد أحمد: صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٨٣-مع الفتح) في كتاب اللباس باب الثياب البيض، ومسلم (٩٤) في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة.

(٤) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) عن أنس، وأخرجه أحمد (٥/ ١٥٤، ١٧٢)، والدارمي (٢/ ٣٢٢) عن أبي ذر.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧)، وانظر: «النهج السديد» للدوسري (ص٣٣-٣٤).

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٩٧-مع الفتح) في كتاب: اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ومسلم (٣٠) في كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا.



منهاج الدعوة ثابت لا يتغير

الدعوة إلىٰ الله عبادة، والعبادة لابد من الالتزام فيها بشرع الله من كتابه وسنة رسوله ﷺ، والتأسي والاقتداء في تطبيق الكتاب والسنة، والاستقامة علىٰ الدين، بسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، علىٰ الرغم من اختلاف العصور وتعاقب الأمم.

وقد قص الله علينا في كتابه قصص بعض رسله من نوح إلىٰ محمد -صلىٰ الله وسلم عليهم أجمعين- علىٰ اختلاف المكان والزمان وحال الأقوام الذين أرسلوا إليهم وطول الفترة بين الرسل ومدة لبث الرسول في قومه فلم يتغير أساس الرسالة ونقطة البداية في الدعوة أبدًا ولو مرة واحدة.

وإنما قامت جميع الرسالات وبدأ جميع الرسل دعوتهم بإفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه، وهو معنىٰ ومقصد لا إله إلا الله: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية:٢٥.

(٣) سورة الذاريات، آية:٥٦.

وأخبرنا الله ﷻ -على وجه التفصيل- أن نوحًا وهودًا وصالحًا وشعيبًا، قال كل منهم لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(١).

وفهم المشركون أن مقصد الرسالة هو توحيد العبودية، فقالت عاد: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾(٢).

وقال كفار مكة: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾(٣) وهم مؤمنون بوحدانية الله في ربوبيته.

وبين الله ﷻ أن التوحيد شرع الله لهذه الأمة وهو ما وصى به نوحًا ومحمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

يقول جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين عن هذه الآية من سورة الشورى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٤). هذا هو المشروع الموصى به، والموحى إلى محمد ﷺ وهو: التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم، ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من: التوحيد، ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد، ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٧٠.

(٣) سورة ص، آية: ٥.

(٤) سورة الشورى، آية: ١٣.

وكما بين الله في هذه الآية أن التوحيد من أعظم نعم الله على عباده يصطفي له من يشاء بفضله، ثم بطاعة عبده له، قص مثل ذلك عن يوسف -عليه الصلاة والسلام- في سورة يوسف: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

وفي وحدة الدعوة والأمة بالتوحيد قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

فإذا كان الله -تبارك وتعالى- خالق العباد العليم بأحوالهم، الخبير بما يصلح لهم في كل حال، قد اختار هذا المنهاج لجميع رسله ولجميع من أرسل إليهم؛ فليس لبشر أن يغير شرع الله، ومنهاجه باختياره لنفسه أو لغيره طريقًا للهداية غير هذا الطريق، وليس لنا أن نسوغ الخروج عن سبيل الله وسبيل رسله في الدعوة إليه بأن «الظروف تغيرت» أو أن الناس قد «ملوا التكرار» أو أن الحكمة تقتضي تغيير مسار الدعوة لمواجهة «قضايا العصر» أو أن دعوتنا موجهة للمسلمين و«لا وجود للشرك» بينهم.

مثل هذا الجدل -مع حسن الظن بنية المجادل، وأن هذا مبلغه من العلم- مشاقة لله ولرسوله واتباع لغير سبيل المؤمنين في دين الله والدعوة إليه، قال تعالى:

(١) سورة يوسف، آية:٣٨.

(٢) سورة البقرة، آية:١٣٦.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[١].

فتغير الظروف بين نوح ومحمد، ومن بعث بينهما -عليهم الصلاة والسلام- لم يغير نهج رسالاتهم في (أصولها).

وأسلوب التكرار من أساليب شرع الله، ومظهر من مظاهر الدعوة إلىٰ الله، في كتابه وسنة رسولهﷺ.

فقد تكرر ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم إجمالاً وتفصيلاً في عدد من سور القرآن، متتابعة ومتفرقة وتكررت الآية في السورة الواحدة وتكرر ذكر الإيمان والشرك والوعد والوعيد وعمل الخير والشر وجزاء الحسنة والسيئة وذكر الدنيا والآخرة.

وكان ﷺ يكرر قراءة سور معينة في أوقات معينة، حتىٰ لقد حفظت سورة «ق» من فيِّ رسول اللهﷺ حيث كان يخطب بها كل جمعة[٢].

وشبهة تغيير منهاج الدعوة لمواجهة قضايا العصر بينة البطلان، فإن أهم قضايا هذا العصر وكل عصر: ما خلق الله له الجن والإنس من العبادة الخالصة لله والاستعداد بذلك للمستقبل الوحيد الذي لا شك فيه: الموت وسؤال القبر والبعث والحساب والجزاء.

ولا يليق بمن يوظف نفسه في الدعوة إلىٰ الله أن يظن أن المسلمين الصالحين

---

(١) سورة النساء، آية:١١٥.

(٢) أخرجه مسلم (ح:٨٧٢)، و(٨٧٣) في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة.

في غير حاجة إلىٰ الحث علىٰ توحيد العبودية والتحذير من الشرك فقد انتهت حياة النبيﷺ بمثل ما بدأت به بعثته، ومن ذلك:

١- عن جندب بن عبد الله ﷺ، أنه سمع النبيﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد... ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[(١)].

٢- وعن عائشة ﵂ قالت: «لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فذكرن من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبيﷺ رأسه، فقال: **أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[(٢)].

٣- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**. قالت: فلولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح:٥٣٢) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٦)، عن الحارث النجراني ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٣١-مع الفتح) في كتاب الصلاة باب الصلاة في البيع، ومسلم (ح:٥٢٨) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور، وأبو عوانة (١/ ٤٠٠)، والسياق له، وانظر «تحذير الساجد» للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، (ص١٧) الطبعة الثالثة.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٠-مع الفتح) في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور، ومسلم (ح:٥٢٩) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور.

٤- وعنها أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي علىٰ وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**. تقول: عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي صنعوا»[١].

٥- وعن أبي عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه، قال: آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «**... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

كانت هذه آخر وصايا النبي ﷺ (قدوة الدعاة) لآل بيته، وخلفائه، وصحبه، (قدوة المسلمين بعده إلىٰ يوم القيامة).

ولا يليق بمن يوظف نفسه في الدعوة إلىٰ الله أن يبلغ به الجهل بمعنىٰ التوحيد (الذي بدأت كل رسالة وكل دعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة) بتقريره، والدعوة إليه، وبمعنىٰ الشرك الذي بدأت أيضًا بإنكاره والتحذير منه ألا يميز مظاهر المخالفة لأهم أنواع التوحيد واستفحال أهم أنواع الشرك بين مسلمي هذا العصر، وأن يحول انشغالهم بمناهجهم المبتدعة بينهم وبين العلم بما سيمتد إليه ذلك من سوء.

يبين ذلك ما جاء في صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣]:

«أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٣٢-مع الفتح) في كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان، ومسلم(ح:٥٣١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١٩٥-١٩٦)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ١٣)، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» (ص٢١-٢٢).

(٣) سورة نوح، آية:٢٣.

الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»[١].

هكذا بدأ الشرك، وعن نهايته يقول النبيﷺ: **«لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**. وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة»[٢].

«لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزىٰ»[٣].

وبين البداية والنهاية أشرك اليهود والنصارىٰ، بمثل ما أشرك به قوم نوح، بنوا علىٰ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وتقربوا إلىٰ الله بها، وعلىٰ الرغم من تحذير النبيﷺ أمته مثل الذي صنع من قبلهم -حتىٰ اللحظات الأخيرة من حياته- قامت في القرون المتأخرة من أمته أنصاب الجاهلية الأولىٰ علىٰ قبور الأنبياء والصالحين، في مخالفة صريحة لأول وآخر وصايا النبيﷺ.

بل بلغ الأمر من السوء أن نافس بعض المسلمين بقايا أهل الكتاب وسابقوهم للاستحواذ علىٰ الأنصاب والمساجد المبنية علىٰ القبور والتقرب إلىٰ الله بالشرك.

وهكذا عادت الوثنية إلىٰ بلاد المسلمين باسم عبادة الله، والتقرب إليه، وحبه أو عشقه، وحب أو عشق الأنبياء والصالحين، وليضمن الشيطان استساغة المسلم

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٦٧- مع الفتح) في كتاب التفسير باب: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٧٦-مع الفتح) في كتاب الفتن باب تغير الزمان حتىٰ تعبد الأوثان، ومسلم (ح:٢٩٠٦)، في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتىٰ تعبد دوس ذا الخلصة.

(٣) أخرجه مسلم (ح:٢٩٠٧) في الكتاب، والباب قبله.

ذلك لم تسم أوثانًا ولا أصنامًا، وإنما سميت الأنصاب: أضرحة ومقامات ومشاهد ومزارات، ينسب إليها من التقديس ما لا يحصل عليه بيت من بيوت الله الخالصة من الشرك!

وإن من المسلمين في بلاد الإسلام من يذبح للجن في البيوت المنكوبة اتقاءً لشرهم، وعلىٰ درج البيت الجديد، ومقدمة السيارة الجديدة لدرء المصائب، ويضع حذوة، وقطعة من العجين علىٰ الباب ليلة الزواج، وصورة كف وعين علىٰ مؤخرة السيارة لدفع الحسد والبلوىٰ، ويذبح بلا تسمية ليعيش الجنين، ويأتي العراف يسأله ويصدقه!

وبعد هذا -ومثله كثير- هل يمنحنا الانتماء للإسلام حصانة من لقب الشرك وعاقبته إذا تلبسنا به في قلوبنا ومساجدنا وبيوتنا؟ وهل نملك الإيمان بالتحلي أو بالتمني؟

لقد قال الله تعالىٰ لمن قبلنا: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢).

فلم يغنهم تفضيل الله لهم في زمانهم ولم يمنعهم وجود الرسول بينهم من الضلال والعقاب؛ والالتزام ببعض الطاعات لا يعصم من الشرك، فقد شهد الله للمشركين بأنهم كانوا يسقون الحاج ويعمرون المسجد الحرام: ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٧، ١٢٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٠.

ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

وأنهم كانوا يستغفرون الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

وأنهم يوحدونه بالخلق والرزق والملك والتدبير: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[4]. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[5].

وأنهم في الشدة يخلصون لله الدعاء والدين، وإنما كان شركهم في الرخاء: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[6]. بينما نجد بعض المسلمين يشركون أولياءهم الأموات مع الحي الذي لا يموت في الرخاء والشدة، في البر والبحر، في الصحة والمرض؟

ولا يجوز لمسلم أن يعتذر لاستمرار وجود الشرك بين المسلمين بحسن النية أو الجهل أو التقرب إلى الله، فقد وصف الله المشركين الأوائل بمثل هذه الأوصاف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم

(١) سورة التوبة، آية:١٩.

(٢) سورة الأنفال، آية:٣٣.

(٣) سورة الزخرف، آية:٩.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٨٧.

(٥) سورة يونس، آية:٣١.

(٦) سورة العنكبوت، آية:٦٥.

مُّهْتَدُونَ﴾(١).

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٢).

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾(٣).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٤).

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(٥).

وثبت أنهم كانوا يقولون في التلبية: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»(٦).

إذن؛ لا مناص من الاعتراف بتسلل وتغلغل الشرك إلى حياة المسلم المعاصر وعبادته، وأن أكثر مسلمي هذا العصر بين مقر له أو مدافع عن مرتكبيه أو ساكت عن التحذير منه، ومن بين هؤلاء أكثر الدعاة إلى الله والخطباء والوعاظ والكتاب والمفكرين (الإسلاميين)، وهم بين جاهل بحقيقة الأمر، وخائف على سمعته ومكانة حزبه بين المبتدعة، لأن الابتداع دين الأغلبية في العصور المتأخرة، نسأل الله

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٤.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٤.

(٤) سورة يونس، آية: ١٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٣.

(٦) أخرجه مسلم (ح: ١١٨٥) في كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، وانظر: «البداية» لابن كثير (٢/ ١٧٤-١٧٥).

الثبات على الحق.

وإن من أهم أسباب رسوخ هذا الفساد في العالم المسلم منذ قرون: الجهل بالمعنى والمقصد الأساس لكلمة التوحيد وقاعدة الدين الحق: لا إله إلا الله.

فغالبية عوام المسلمين يظنون أنها تعني أول وآخر ما تعني: الإيمان بوحدانية الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر والتدبير أو الربوبية وحدها، ولو كان هذا صحيحًا لما ردها المشركون من قريش ولما قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[1]. والله يشهد لهم بأنهم يفردونه بالربوبية.

وغالبية مثقفي المسلمين يظنون أنها تعني أول ما تعني: الإيمان بوحدانية الله في الحكم (الحاكمية)، ولو كان الأمر كذلك لما ردها مشركو قريش وما كان أهون عليهم من عرض المال والملك على النبي ﷺ في مقابل تنازله عن لا إله إلا الله، وما نازعهم ولا نازعوه في ملك ولا مال.

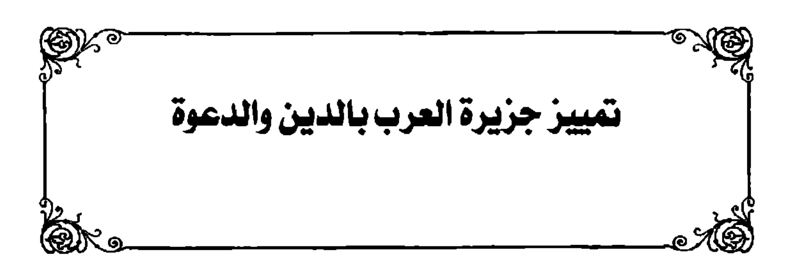
ولكن تدبُّر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستقراء السيرة لا يبقي مجالاً للشك عند أي مسلم سَوِيٍّ في أن: لا إله إلا الله، تعني -فوق كل أمر وأساس كل أمر-: إفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه، وأن أبا جهل وغيره من مشركي قريش عقلوا هذا المعنى فردوا كلمة التوحيد، لأنها تهدم ما وجدوا عليه آباءهم من جمع بين الخالق والمخلوق في الألوهية.

ولو عقل أكثر المسلمين ذلك في العصور المتأخرة لما قامت الأنصاب على

(١) سورة ص، آية:٥.

القبور وفي المساجد، ولما وجدت هذه الطوائف والطرق والأحزاب والفرق تقطع الطريق بين العبد والعبودية الخالصة لمولاه، وتحتكر لنفسها إيصال المخلوق إلىٰ خالقه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، ولما وجدت هذه البيعات الطرقية والطائفية والحزبية تستعبد المسلم الحر وتحكم ولاءه وانتماءه وترسم له طريقًا غير طريق رسوله ﷺ في العلم والعمل والدعوة والذكر وتقف سدًّا بينه وبين العلم الشرعي والعمل الشرعي، والدعوة علىٰ بصيرة من نصوص الكتاب والسنة وفقه الأئمة، ولما انتشرت الخرافات والبدع الأصيلة والإضافية والترّكية، تشوهت العبادات في القلوب، والمساجد، والمراكز، والمدارس الإسلامية، والاتجاه الديني بمختلف أشكاله وألوانه.





تمييز جزيرة العرب بالدين والدعوة

اختار الله جزيرة العرب واصطفاها وميزها بأمور عظيمة، من أهمها:

١- جعل بيته الحرام فيها قيامًا للناس ومثابة وأمنًا.

٢- انطلاق رسالة الله الأخيرة منها إلىٰ الثقلين في كل زمان ومكان.

٣- اختيار لغتها لبيان شرع الله الكامل.

٤- تفضيل العبادة في المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي فيها علىٰ العبادة في سائر بيوت الله.

٥- الحكم بتطهيرها من الشرك وأهله حتىٰ لا يجتمع فيها دينان وحتىٰ تبقىٰ شريعة الله فيها بلا منافس ولا مضاد.

ومع أن جزيرة العرب تأثرت -بعد القرون المفضلة- بما انتشر في الأمصار الإسلامية من اختلاف وانحراف في العقيدة والعبادة، فإن الله ﷻ ميز هذه الجزيرة مرة أخرىٰ بزوال آثار هذا الاختلاف والانحراف، فوحدها -في عهد دولة التوحيد- في أوائل القرن الثالث عشر، ثم في منتصف القرن الرابع عشر الهجري علىٰ العقيدة الصافية من الشرك، والعبادة الصافية من الابتداع.

ومن هنا نجدها بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام من الهجرة متميزة عن غيرها من بلاد الإسلام والكفر، بما يأتي:

١- قيام دولتها علىٰ الدعوة إلىٰ توحيد العبودية.

٢- تحكيم شرع الله وإقامة حدوده.

٣- اتخاذ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله راية لها ينصرف لها التعظيم إذا زين التقليد للمسلم تعظيم الشعارات والرموز، وتظل مرتفعة في كل مكان إذا نكست الرايات لموت العظماء.

٤- خلو أرضها من التماثيل والنصب والأوثان والأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات، ومن كل رمز يصرف له شيء من العبادة والتعظيم مع الله.

٥- خلو مساجدها من البدع، وأسواقها من المحرمات الظاهرة.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ الله علىٰ منهج النبوة وظيفة رسمية مستقلة في نظامها الإداري.

٧- الأذان للصلاة فيها إيذان إجباري بترك البيع والتجارة والعمل واللهو حتىٰ تقضىٰ الصلاة، كما أمر الله.

٨- فرض الحجاب، وفصل الرجال عن النساء في جميع مراحل العلم والعمل.

٩- لا تمنح جنسيتها إلا لمسلم تنفيذًا لوصية رسول الله ﷺ ألا يجتمع فيها دينان[1].

---

(١) صحيح، أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٢)، وعنه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٢٠٨) مرسلاً عن عمر بن عبد العزيز، وأخرجه مالك (٢/ ٨٩٢)، وعنه البيهقي (٩/ ١٠٨) أيضًا عن محمد بن =

وقوله: «**لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب حتىٰ لا أدع إلا مسلمًا**»[1].

ولهذا ميزت جزيرة العرب في هذه الدراسة، فلا زالت -مع ما لحقها من نقص وتقصير- تملك الحق في كونها قدوة لكل مسلم، وأن يرىٰ فيها الدعاة (خاصة) تحقق وعد الله للمؤمنين والصالحين منهم بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين الحق والأمن والبسطة في الرزق.

فهذا تجديد دعوة التوحيد، يبدأ قبل قرنين في قرية صغيرة من صحراء جزيرة العرب القاحلة الممزقة إلىٰ إمارات صغيرة لا تملك شيئًا يذكر من حظ الدنيا أو الآخرة، فيوحد الله بها أهل الجزيرة بعد الفرقة ويطعمهم بعد الجوع ويؤمنهم بعد الخوف، ويحول الله بها الجزيرة دولة واحدة مترامية الأطراف مميزة في دينها ودنياها يقصدها طالب العلم والدين وطالب الأمن والمال من كل مكان.

=

شهاب الزهري مرسلاً.

ووصله صالح بن أبي الأخضر، عن سعيد، عن أبي هريرة.

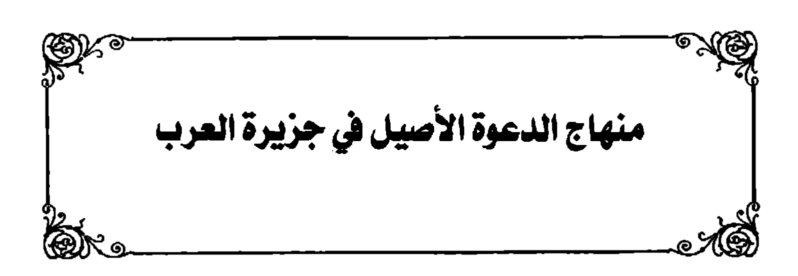
أخرجه البزار في «مسنده» (٢/ ٩٤-كشف الأستار)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» كما في «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ٤٥٤).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢١) بعد عزوه إلىٰ البزار: وفيه صالح بن أبي الأخضر، وهو ضعيف، وقد وثق.

وأخرجه أحمد (٦/ ٢٧٤-٢٧٥) بسند حسن عن عائشة به مرفوعًا، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٢٠٨).

وفي إسناده ضعف، وانظر «نصب الراية» (٣/ ٤٥٤)، والتلخيص الحبير (٤/ ١٢٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب (ح:١٧٦٧).



منهاج الدعوة الأصيل في جزيرة العرب

تتميز الدعوة التي قام عليها المجتمع الحديث في جزيرة العرب عن مناهج الدعوة الحديثة الأخرىٰ -التي لم توفق إلىٰ ما وفقت إليه- بما يأتي:

١- لم تقم علىٰ أساس انفصالي عن جماعة المسلمين الملتزمين بشرع الله، بل كل مسلم متمسك بالكتاب والسنة فهو من أهلها.

٢- لم ترتض لنفسها اسمًا أو عنوانًا يعزلها عن تسمية الله لهذه الأمة: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾[1].

٣- لم تنتم إلىٰ فرد من البشر غير محمد ﷺ.

٤- لم تدن لله بعقيدة غير عقيدة السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المعتد بهم -رضي الله عنهم أجمعين-.

٥- لم تلتزم بمذهب فقهي غير مذهب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أحد المذاهب المعتد بها بين أهل السنة، (فيما لم يتضح دليله، ولم تقم الحجة الشرعية علىٰ خلافه).

٦- لم تعط ولم تأخذ بيعة غير البيعة الشرعية لولي الأمر.

---

(١) سورة الحج، آية:٧٨.

٧- لم ترفع رمزًا أو شعارًا غير شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٨- تتبعت خطا رسول الله ﷺ في دعوته إلىٰ الله بأمر الله فبدأت بما بدأ به رسول الله والرسل من قبله بتوحيد الله بالعبادة وعدم صرفها إلىٰ غيره ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلاً أو وليًّا شهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

٩- تتبعت خطا رسول الله ﷺ بالتماس الحماية البشرية بإذن الله للدعوة الوليدة حتىٰ تبلغ أمر الله.

١٠- ولما اشتد ساعدها أقامت الحدود وحكمت شرع الله في جميع أمور الدين والدنيا وجاهدت: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[١].

١١- هداها الله لما هدىٰ له الخليفة الراشد أبا بكر الصديق ﷺ في قتال المرتدين من المسلمين بمنع الزكاة فلم تتهيب قتال المرتدين من المسلمين لما هو أعظم من منع الزكاة وهو الشرك بالله بصرف بعض العبادة لغيره وطلب النفع ودفع الضر من غيره فيما لا يقدر عليه سواه.

وصدق الله وعده وأعز جنده ونصر عباده الداعين إلىٰ دينه الحق: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٢].

وسقطت أوثان الأضرحة والقبب والأشجار والأحجار تارة أخرىٰ بعد أن أعادها الجهل والانحراف إلىٰ جزيرة العرب.

---

(١) سورة الأنفال، آية:٣٩.

(٢) سورة الإسراء، آية:٨١.

واستخلف الله عباده الموحدين في أرض الجزيرة كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونه لا يشركون به شيئًا.

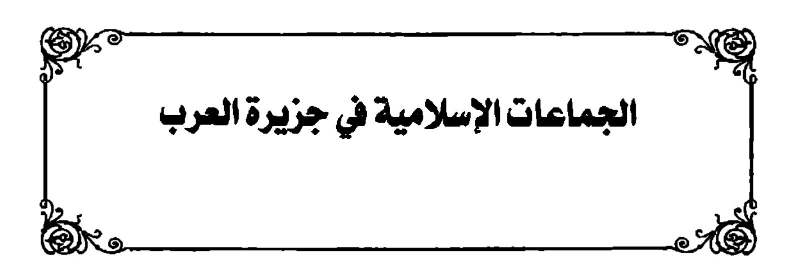
وفتح الله لهم خزائن الأرض فجمع لهم خير الدنيا إلىٰ خير الدين.

وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ورزقهم من ثمرات الأرض كلها لعلهم يشكرون، وسيبقىٰ الأمر كذلك بإذن الله ما حفظوا عهدهم مع الله؛ -ثبتهم الله علىٰ ذلك-.

وعادت الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة تنطلق من جزيرة العرب إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها بتوظيف الدعاة وتأسيس معاهد العلم الشرعي ونشر كتبه.

وأنتجت بفضل الله أئمة يهدون بأمر الله ويدعون إلىٰ سبيله علىٰ النهج الذي ارتضاه لرسله.





الجماعات الإسلامية في جزيرة العرب

في العقدين الماضيين -على الأخص- هبت على جزيرة العرب رياح بعض الحركات التي تريد الإصلاح -ظهرت في القرن الماضي خارجها- وكانت الحركات المعنية قبل ذلك تعيش فترة الركود التي شملت التدين الصالح والطالح في بلاد الإسلام وبلاد الكفر، ثم غير الله الحال بين عشية وضحاها لأمر يريده سبحانه بلا سبب ظاهر.

أما فيما مضى فلم تعرف الجزيرة كثيرًا عن هذه الحركات، ولم يتأثر بها غير قلة من بنيها غرهم من بريقها ما جعلهم يستبدلون الذي هو أدنى (جماعاتهم الجديدة) بالذي هو خير (الدعوة الشرعية في زمن النبيﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان، وتجديدها في القرنين الأخيرين).

ومن الواضح أنه لم يتحقق لأي من هذه الحركات الوافدة سلامة المنهج، ولم يتخلص معظمها من آثار الانحراف في البيئات التي نشأت فيها.

لذلك لم تؤثر شيئًا يذكر في تصحيح عقائد وعبادات المجتمع المحيط بها، فعلى مسافة يسيرة من مراكزها تجثم أنصاب الشرك من الأضرحة ومعابد الوثنية يحج إلى بعضها من المسلمين أكثر ممن يحج إلى بيت الله الحرام، وتطغى البدع على العبادات

والمساجد، وتطغى الخرافات على القلوب.

ولذلك لم يحصل أي منها على ما وعد الله به المؤمنين الصالحين الداعين إلى الله على بصيرة من الاستخلاف في الأرض والتمكين والأمن في أوطانها.

ومن أبرز هذه الجماعات وأوسعها انتشارًا وأكثرها عددًا: جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين.

الأولى: ظهرت في الهند.

والثانية: في مصر، في منتصف القرن الرابع عشر من الهجرة.

الهدف المعلن للأولى: إصلاح المسلم بالانتقال به من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر،

وللثانية: الحكم بما أنزل الله، وأسلمة الثقافة العلمانية.

كلتا الحركتين تأثر مؤسسها بالطرق الصوفية:

الأولى: بالجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية[١].

والثانية: بالحصافية[٢].

وكلتاهما استخدمت البيعة الدينية المبتدعة في ربط أفرادها بها.

وكلتاهما أخطأت في فهم معنى ومقصد (لا إله إلا الله).

---

(١) جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها، ميان محمد أسلم، بحث علمي مقدم لنيل الشهادة العالية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ٩٦-١٣٩٧هـ (ص١٣، ٤٢).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، (ص٩- ١٩).

الأولى: خصتها بالربوبية.

والثانية: خصتها بالحاكمية.

وكلتاهما آثرت السلامة من مغبة مناهضة الابتداع في الدين.

الأولى: بدعوى عدم التعرض للخلافات ونشر أمراض الأمة.

والثانية: بدعوى الخلاف في حكم البدع الإضافية والتركية والتوسل بالمخلوق في الدعاء[١].

ومع مرور الزمن تردى كل منهما إلى غاية تجميع الناس -على اختلاف اتجاهاتهم- حولها والحرص على تحقيق المكاسب الدنيوية معنوية أو مادية، لقيادتها أو أفرادها.

وقد يلتمس لهما العذر في القناعة بما حققتا من نتائج ثانوية في مجتمعاتهما القائمة على التعصب للمذهب الفقهي والتشدد فيه -حيث تشرع المرونة والتوسعة- والتنكر للمذهب نفسه في العقيدة، والتساهل فيها حيث يشرع الاحتياط والحذر والحزم والتقيد بالكتاب والسنة نصًّا وروحًا، وسد ذرائع الشرك ومنع جميع وسائله وأسبابه وقطع جميع أسباب الابتداع في الدين.

ولكن كلاًّ منهما بوصولها إلى جزيرة العرب، واجتذابها عددًا من أبنائها هددت مستقبل العقيدة في عقر دارها وملاذها في هذا العصر، فقد تمكن كل منهما بطريقته الخاصة من تذليل أتباعه من أبناء الجزيرة وكسر صلابتهم وتضييع

(١) مجموعة رسائل حسن البنا، رسالة التعاليم، (ص٢٧٠).

أصالتهم المميزة في فهم وتطبيق ونشر توحيد العبودية والنفور من الشرك والبدعة والخرافة وأهلها، وفي المحافظة على ترتيب الأولويات في العلم والعبادة والدعوة إلى ذلك، والصبر على الأذى فيه.

وفي هذا اليوم قبل الغد نجد أن الميزة الشرعية العظيمة (ميزة الاحتياط والحزم في أمر العقيدة، والنفور من كل ما يخالفها أو يهددها) تُفقد تدريجيًا بين أبناء جزيرة العرب المنتمين إلى الجماعات الإسلامية الوافدة من مناطق الشرك والبدع والجهل.

وفي ثوب أحدهم نجد مسخًا طبعته الحزبية -المنسوبة إلى الدين- بطابعها التقليدي المتميز عن طابع المسلم الحر الأصيل إلى درجة لم يعد من العسير معها التعرف على الحركة الدخيلة التي تقوده من مظهره وتصرفه ودعوته.

فالتبليغي مثلاً: متواضع المظهر، متكلف حسن الخلق، حريص على الطاعات والالتزام بسنن العادات وما يعرف مما يتفق مع منهج دعوته من سنن العبادات، ضعيف الشخصية، لين العريكة الدينية، قليل الحظ من العلوم الدينية والدنيوية.

موضوع دعوته: الرقائق بأسلوب القص، وضرب الأمثلة الشائعة، ورواية الأحاديث المشتهرة على ألسن العوام، والاستشهاد على صحة منهج حزبه بالأحلام والكرامات، والنتائج المبالغ فيها.

التوحيد عنده: معرفة الله بربوبيته وعظمته.

والشرك الأكبر عنده: الاشتغال بالتجارة أو الشواغل غيرها عن العبادة والدعوة التبليغية.

والإخواني مثلاً: حريص علىٰ مظهره بما في ذلك حف لحيته، متعال علىٰ غيره، يأخذ منك وكأنه يعطيك، مثقف دنيويًّا، قليل البضاعة من العلوم الشرعية.

موضوع دعوته: محاولة الجمع بين شرع الله والثقافة العلمانية، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم.

التوحيد عنده: إثبات وجود الله بواسطة العلوم العصرية، وتطبيق الحاكم للأحكام الشرعية بطريقة عصرية.

والشرك الأكبر عنده: الحكم بالقوانين الوضعية.

ولقد ظهرت شواهد خطيرة علىٰ بدء تفتيت هذه الجماعات لوحدة جزيرة العرب في العقيدة والعبادة والمنهج، ومن أبرزها:

حج أبناء الجزيرة إلىٰ مراكز جماعاتهم في القارة الهندية وفي الأمصار العربية، والمؤاخاة علىٰ منهج غير الكتاب والسنة، والبيعات الحزبية السياسية المحرمة المنسوبة إلىٰ الدين، والاستسلام للمناهج الدخيلة، والطاعة العمياء للقائمين عليها، والشقاق بين أخوة العقيدة والسنة في ملاذ العقيدة والسنة.

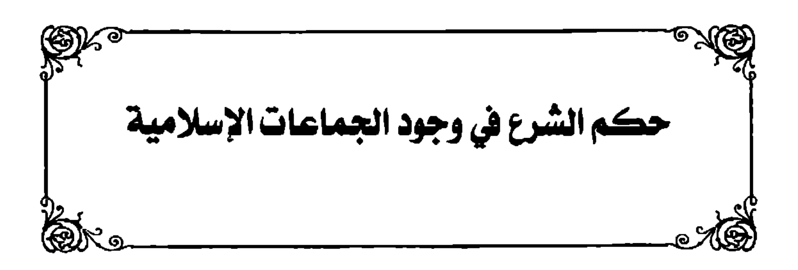
ومما يدمي القلب ويثير الخوف علىٰ مستقبل العقيدة في جزيرة العرب: أن ترىٰ بدويًّا من قرىٰ الجزيرة يتقرب إلىٰ الله بالسفر إلىٰ بلاد يغلب عليها الشرك ليقيم ثلاثة أيام في مسجد بني علىٰ وثن (قبر) حتىٰ يحذر أهله من الاشتغال بالتجارة أو غيرها من الشواغل عن الدعوة التبليغية.

ومما يدمي القلب ويثير الخوف علىٰ مستقبل العقيدة في جزيرة العرب: أن يفصل أحد قادة هذه الجماعات من مؤسسة علمية شرعية لثبوت فساد عقيدته

فيبذل تلاميذه المثقفون من أبناء الجزيرة جهدهم لإعادة التعاقد معه في وظيفة علمية شرعية أخرىٰ.

ومما يدمي القلب ويثير الخوف علىٰ مستقبل العقيدة والدعوة في جزيرة العرب: أن ينصرف بعض الدعاة من أبنائها عن الأصالة والبساطة في منهاج الدعوة النبوي إلىٰ ما زينه لهم شركاؤهم في الجماعات المحدثة من الدعوة بالخطب الصاخبة التي تهاجم أهدافًا خيالية، ومحاولة إثبات وجود الله وصحة شرعه بنظريات العلوم العصرية من نتاج العقول الملحدة مما سموه إعجازًا علميًّا وهو قائم علىٰ الظن والوهم والاحتمال فوقعوا (أو كادوا) فيما وقع فيه من قبلهم ممن حاول معرفة الله بعلم الكلام من نتاج الفلسفة اليونانية الهندية، وبئس مصير من يستدل علىٰ الحقيقة بالخيال وعلىٰ اليقين بالظن، ومن يستبدل شريعة المخلوق بشريعة الخالق، والله المستعان ومنه الهداية.





في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (من هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية) رقم:١٦٧٤، في ٧/ ١٠/ ١٣٩٧هـ (٣٣/ ٩٦-مجلة البحوث) حكم صريح بعدم شرعية وجود هذه الجماعات ما لم يستند وجودها إلى قرار من ولي الأمر لخير الأمة كافة، ونص الفتوى: «لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعًا وأحزابًا يلعن بعضهم بعضًا ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه، ونعى على من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد برأ الله رسوله ﷺ منه، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآيات[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٣-١٠٥.

(٢) سورة الأنعام، آية:١٥٩-١٦٠.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)]. والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة.

أما إذا كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع أعمال الحياة، ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كُلٌّ بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا، فهذا مشروع؛ بل واجب علىٰ ولي أمر المسلمين أن يوزع رعيته علىٰ واجبات الدين والدنيا علىٰ اختلاف أنواعها: فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتمييز صحيحه من سقيمه.. إلخ، وجماعة أخرىٰ لخدمة فقه متونه تدوينًا وتعلمًا وتعليمًا، وثالثة لخدمة اللغة العربية: قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها، وإعداد جماعة رابعة للجهاد وللدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقبات لنشر الإسلام، وأخرىٰ للإنتاج: صناعة وتجارة وزراعة ... إلىٰ آخره.

فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها ولا يحفظ الإسلام ولا ينتشر إلا عن طريقه، هذا مع اعتصام الجميع بكتاب الله وهدي رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة ووحدة الهدف وتعاون جميع الطوائف الإسلامية علىٰ نصرة الإسلام والذود عن حياضه وتحقيق وسائل الحياة السعيدة وسير الجميع في ظل الإسلام وتحت لوائه علىٰ صراط الله المستقيم، وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١٧-مع الفتح) في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء، ومسلم (ح:٦٥)، (٦٦) في كتاب الإيمان، باب معنىٰ قول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**».

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]»[٢].

تبين من هذا أن مجرد قيام جماعة أو حزب أو طائفة أو فرقة وتميزها عن جماعة المسلمين باسم غير الاسم الذي عم الله به الأمة: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٣]. أو تميزها بعقيدة أو عبادة لم يأذن بها الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ وسبيل المؤمنين من أصحابه.

أو انعزالها بمركز خاص أو أمير غير ولي الأمر أو بيعة دينية أو سياسية غير البيعة العامة لولي الأمر، كل ذلك أو بعضه خروج عن جماعة المسلمين وتشتيت لشملها وتقطيع لأمرها زبرًا؛ انتهىٰ بأهله إلىٰ التعصب والتنازع والفشل وذهاب الريح والموالاة في الحزب والمعاداة فيه والحب فيه، والبغض فيه بدعوىٰ أن ذلك كله في الله!!

بل لقد وصل الأمر بالمسلمين نتيجة لتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف إلىٰ أن تعدىٰ بعضهم علىٰ بعض بالتهم والشائعات الكاذبة والسباب حتىٰ قتل رفقاء الجهاد والدعوة بعضهم بعضًا.

والعجب كل العجب أن يدعي أكثر الحزبيين أن همهم الأول تجميع الصفوف ووحدة المسلمين وفي سبيل ذلك رأوا أنه لا يجوز إنكار البدع ولا بيان مسائل العقيدة

---

(١) سورة الأنعام، آية:١٥٣.

(٢) وقعها كل من رئيس اللجنة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ونائب الرئيس الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، وعضو اللجنة الشيخ/ عبد الله بن قعود، وعضو اللجنة الشيخ/ عبد الله بن غديان.

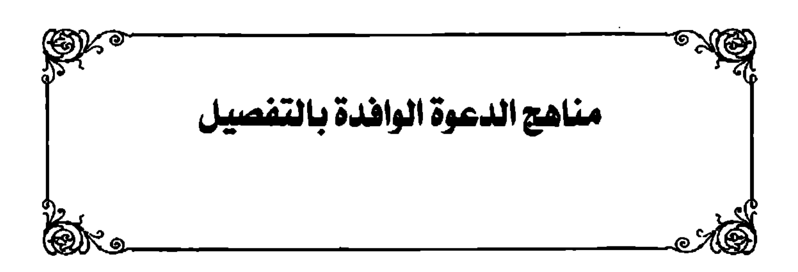
(٣) سورة الحج، آية:٧٨.

التي اختلف عليها المسلمون في العصور المتأخرة حتىٰ لا يكاد وجه الحق يعرف فيها بين أكثرية المسلمين.

كيف تتجمع الصفوف ويتحد المسلمون بواسطة جماعات وطوائف وأحزاب متفرقة يحاول كل طرف فيها أن يثبت أنه علىٰ الحق وغيره علىٰ الباطل، يؤيد حزبه ويعارض الأحزاب الأخرىٰ، يجمع التبرعات لجماعته ويحاول أن يصرفها عن غيرها؟!

أم كيف تتجمع الصفوف ويتحد المسلمون علىٰ عقائد مختلفة وعلىٰ مناهج مبتدعة وعلىٰ عبادات لم يكن عليها أمر محمد ﷺ وصحبه رضي الله عنهم؟!





مناهج الدعوة الوافدة بالتفصيل

سأحاول فيما يأتي عرض مناهج أكبر الجماعات الوافدة إلى جزيرة العرب في هذا العصر: **جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين.**

أما الأولى: فسأستند إلى خبرتي فيها خلال ثمانية أعوام تقريبًا (١٣٩٧-١٤٠٤) لعدم صدور وثائق عنها من قيادتها وقلة ما كتب عنها من خارجها، وإلى رسالة الشيخ/ ميان محمد أسلم(١).

وأما الثانية: فسأترك الحديث عنها في الغالب لقادتها ومؤيديها، راجيًا من الله التسديد.

وأبدأ بتقرير حسن ظني بمؤسسي وأفراد الحركتين، وكل الجماعات الإسلامية المعاصرة في النية والهدف وإرادة الخير واختيار ما يغلب على الظن أنه الصواب، (في الجملة).

وأؤكد أن هذه الحركات نفعت المجتمع المسلم بجمع عدد من أفراده على عمل أو أكثر من أعمال الخير.

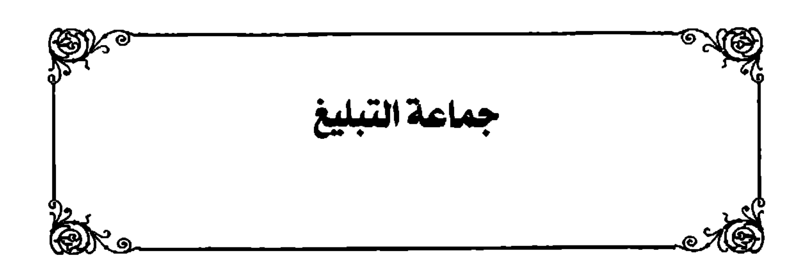
ولكني وقد أوضحت فيما مضى أن منهاج الدعوة الأصيل في جزيرة العرب

---

(١) أوثق دراسة كتبت عنها لمعرفته بلغة أهلها وخبرته بها.

قد احتذىٰ حذو منهاج الدعوة النبوي: القدوة الأولىٰ والأخيرة لهذه الأمة، فإني مهتم هنا بإظهار مخالفة هذه الحركات الوافدة له وخطرها عليه وعلىٰ حاضر ومستقبل الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة بصفة عامة.





جماعة التبليغ

المؤسس: بدأ هذه الحركة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري الشيخ/ محمد إلياس ابن محمد إسماعيل الكاندهلوي[١].

حفظ القرآن وقرأ الكتب الستة في الحديث على المنهج الديوبندي الحنفي مذهبًا، الأشعري الماتوريدي عقيدة، الصوفي طريقة.

أخذ البيعة الصوفية على يد الشيخ/ رشيد أحمد الكنكوهي، ثم جددها بعد موت الشيخ/ رشيد، على يد الشيخ/ أحمد السهارنفوري الذي أجازه في مبايعة غيره على النهج الصوفي المعروف.

كان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ/ نور محمد البدايوني وفي المراقبة الجشتية عند قبر/ عبد القدوس الكنكوهي[٢] الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود[٣].

أقام ودَرَس ودرَّس ومات في دلهي الهند.

له من الولد: الشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوي الأمير الثاني للجماعة. وبنت

(١) ولد عام ١٣٠٢هـ، وتوفي عام١٣٦٣هـ-١٩٤٤م.

(٢) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم، (ص١٢-١٣).

(٣) الإمام السرهندي حياته وأعماله، أبو الحسن الندوي، (ص١١٨).

تزوجها الشيخ محمد زكريا مؤلف «تبليغي نصاب» منهج الجماعة لغير العرب[١].

ظروف نشأتها:

يرىٰ الشيخ/ أبو الحسن الندوي أن الشيخ/ محمد إلياس لجأ إلىٰ هذه الطريقة في الدعوة بعد أن أعيته السبل التقليدية في إصلاح أهل منطقته[٢].

وينقل الشيخ ميان محمد أسلم عن «ملفوظات إلياس» لمحمد منظور النعماني، قول الشيخ/ محمد إلياس نفسه: «أنه انكشف علىٰ هذه الطريقة بأن ألقي في روعه في المنام تفسير جديد لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾[٣].

يقتضي «الخروج» للدعوة إلىٰ الله فإنها لا تتحقق بالإقامة في مكان واحد بدليل قوله: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ وأن الإيمان يزداد بهذا الخروج بدليل ورود قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾ بعد قوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وبعد قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وأن معنىٰ ﴿أُمَّةٍ﴾ العرب، ومعنىٰ: «الناس» الأعاجم، أما العرب فقد قال الله في حقهم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[٥].

---

(١) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم (ص١٢-١٣).

(٢) من رسالة للشيخ أبي الحسن الندوي، كتبها للشيخ/ عبد العزيز بن باز تأييدًا للجماعة في ١٨/ ٥/ ١٤٠١هـ

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) سورة الغاشية، آية: ٢٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٠٧.

وأن النية في الدعوة إصلاح النفس بدليل قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ ولم يقل خيرًا لكم»[(١)].

وينقل الشيخ/ ميان محمد أسلم أيضًا عن كتاب: «الشيخ/ محمد إلياس ودعوته الدينية» للشيخ أبي الحسن الندوي، قول الشيخ محمد إلياس أنه أمر أثناء إقامته بالمدينة النبوية بالقيام بالتبليغ وقيل له «نستخدمك» وإنه كان يحس ثقلاً عند الذكر فشكىٰ إلىٰ شيخ طريقته رشيد أحمد. فارتعد الأخير، وقال: شكا مثل هذا الشيخ/ محمد قاسم إلىٰ حاجي إمداد الله»[(٢)].

ونقلاً عن «سوانح قاسمي» أجاب حاجي إمداد الله بأن «هذا فيضان النبوة علىٰ قلبك، وهذا الثقل هو ما كان يحسه النبي ﷺ وقت الوحي فيستخدمك الله بعمل كان يفعله الأنبياء»[(٣)].

أما أصول الجماعة الستة أو (الصفات الست): فلعل الشيخ/ محمد إلياس اقتبسها من الحركة النورسية التي أسسها في تركيا الشيخ/ محمد سعيد النورسي الكردي الملقب ببديع الزمان النورسي (١٢٩٣-١٣٧٩هـ)، وقد تكون هذه العلاقة بين الحركتين سببًا لحرص جماعة التبليغ في العقود الأولىٰ من وجودها علىٰ تسمية كل مركز لها إلا القليل: مسجد النور[(٤)]، وبين الحركتين تشابه في أكثر من ذلك.

---

(١) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم، (ص١٤).

(٢) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم (ص١٥).

(٣) المصدر السابق (ص١٥).

(٤) المصدر نفسه (ص٤٥).

أهدافها:

يتفق جميع التبليغيين على أن هدفهم: إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم بطريق تغيير البيئة.

وليس للحركة وثيقة مكتوبة تؤيد هذا أو تنفيه، ولذلك اختلفت آراء الناس فيها بين مادح يرى أن هدف الشيخ/ محمد إلياس من تأسيس حركته إثارة الشعور الديني لدى مسلمي القارة الهندية للبعد بهم عن خطر الردة في الجو الوثني المحيط بهم، وبين قادح يرى أنهم باطنية تبعًا لنشأتهم الصوفية (والصوفية عمومًا باطنية)، مستدلاً على ذلك بتنويع منهجهم: رياض الصالحين (الصالح) للعرب، وتبليغي نصاب (الفاسد) للعجم، وبالقبور في مسجدهم ومركزهم الرئيس في الهند والسودان وجوار مسجدهم ومركزهم الرئيس في رائي وند بالباكستان، وبموقفهم المخذل من الجهاد الأفغاني (بعد أن بطلت حجتهم بعد قيام الجهاد بالسلاح) وصرف نصوص الجهاد في القرآن والحديث إلى الخروج التبليغي للدعوة.

تمويلها:

١- تقوم الحركة (في أغلب أحوالها الفردية) على التمويل الذاتي حيث يقدم كل فرد من الخارجين لأمير جماعته ما يكفي مئونة خروجه.

٢- نقل الشيخ/ ميان محمد أسلم -رحمه الله- عن كتاب «مكالمة الصدرين» لحفظ الله السيوهاروي -عضو سابق في البرلمان الهندي-: أن الحكومة الهندية البريطانية كانت تقدم معونة مالية لجماعة التبليغ، بواسطة الحاج/ رشيد أحمد. ثم

توقفت عن ذلك[١].

٣- تمويل المراكز الرئيسة بمطابخها ورواتب أمرائها ومدارسها، وتمويل الاجتماعات العامة بما يكفي لاستئجار المكان والخيام (أحيانًا) وتقديم الطعام للضيوف الذين يبلغ عددهم المئات والآلاف سر مغلق يحتفظ به أمراء الجماعة من القارة الهندية ولا يعرف عنه الأمراء المحليون شيئًا.

ويظن بعض أفرادها أن مصدر التمويل تجار الجماعة أو بعض مؤيديها، ولكن هذا الظن يتناقض مع ما يذاع من رفض الجماعة للتبرعات وجمع الثروات والاشتغال بالتجارة عن الدعوة، ويتعارض مع دعوى الزهد والانقطاع لعمل الآخرة.

أمراؤها:

أميرها الأول: مؤسسها الشيخ/ محمد إلياس الكاندهلوي، وتقدم الكلام عنه.

وأميرها الثاني: ابنه الشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوي تلقى منه البيعة الصوفية في حياته «نيابة عن رسول الله ﷺ»[٢].

وألف كتاب «حياة الصحابة» للعرب من جماعة التبليغ، وخلف والده على إمارة الجماعة بعد موته.

---

(١) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم (ص١٥).

(٢) جماعة التبليغ: ميان محمد أسلم (ص٢٤).

ويزعم معاصروه، «انتقال النسبة إليه» (حسب الاعتقاد الصوفي الهندي) ويعني ذلك أن جميع صفات الوالد ومميزاته الدينية انتقلت إلى الولد بعد موت أبيه[١].

وأميرها الثالث: الشيخ/ إنعام الحسن وهو الأمير الحالي للجماعة.

وحول الأمير عدد من قدماء الجماعة وأمرائها في القارة الهندية يشاطرونه الرأي، والمحافظة على خط سير الحركة من التغيير والتبديل.

ومبلغهم جميعًا من العلم حفظ شيء من القرآن والحديث دون تمحيص بقصد التبرك أكثر من التدبر أو محاولة تصحيح العقيدة أو العبادة أو المنهج (فيما يظهر منهم).

أما الأمراء المحليون خارج المراكز الرئيسة الثلاثة (دلهي، ورائي وند، ودكا) فمهمتهم تنفيذية بحتة ويختارون من أصول هندية أو تحت إشراف هندي من العوام الملتزمين بطاعة الأمير في دلهي ومنهج الجماعة، لضمان الثبات على الطريقة التبليغية والقبول والتسليم في كل حال ولكل أمر.

وتعيين الأمراء المحليين وعقد الاجتماعات العامة وكل شئون الجماعة الرئيسة تصدر من الأمير العام في دلهي وله الولاء التام والطاعة من الجميع.

منهجها: لا يعرف عن الجماعة إصدار وثيقة واحدة عن منهجها، فهي لا تستخدم نظم الإدارة الحديثة في تسيير شئونها، وإنما يتم التخطيط والتنفيذ بالطريقة البسيطة الأولى دون حاجة إلى الثقافة العالمية المستوردة.

---

(١) المصدر نفسه (ص٢٤).

ولا يظهر من منهجها للمشارك العادي في نشاطها إلا قراءة السور العشر الأخيرة من القرآن مع فاتحة الكتاب، والقراءة في كتاب «رياض الصالحين للنووي» (من الآيات والحديث الصحيح في فضائل الأعمال)، وفي كتاب «حياة الصحابة للكاندهلوي» (من قصص عن الصحابة لا يثبت أكثرها) وهما للعرب خاصة.

وكتاب «تبليغي نصاب» لمحمد زكريا لغير العرب في فضائل الأعمال (ويقوم علىٰ القصة والحديث الضعيف والموضوع والخرافة والبدعة غالبًا ولا يخلو من الشرك)، وسأعرض أمثلة قليلة من ذلك إن شاء الله.

يضاف إلىٰ ذلك أصول الجماعة الستة، ويغلب عليها في الأعوام الأخيرة تسميتها بالصفات الست المختارة من صفات الصحابة، ويبدو أن قيادة الجماعة لجأت إلىٰ هذا التغيير للتخلص من اتهامها باستبدال أصولها الستة بأركان الإسلام الخمسة:

والأصول الستة أو الصفات الستة كما ترد في خروجهم:

١- تحقيق الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٢- الصلاة ذات الخشوع والخضوع.

٣- العلم، بالفضائل لا المسائل، مع الذكر.

٤- إكرام المسلم.

٥- تصحيح النية.

٦- الدعوة إلىٰ الله والخروج في سبيل الله (علىٰ منهج التبليغ).

ولكل من هذه الأصول أو الصفات «مقصد»، و «فضيلة»، و «طريقة حصول» محددة.

فمقصد لا إله إلا الله (على سبيل المثال): إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله: أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله.

وفضيلتها: قول الرسول ﷺ: **«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»**[1].

وطريقة الحصول عليها: ترديدها.

عقيدتها: يمكن الحكم على منهجها والقائمين عليها وأكثر أتباعها من العجم بما يحكم به على مدرسة ديوبند، والديوبنديون في الهند: أحناف في المذهب الفقهي، أشعرية ماتوريدية في العقيدة، جشتية،نقشبندية، قادرية، سهروردية، في طريقة التصوف.

يصفهم بعض المحايدين من أهل الهند بأنهم وسط بين القبوريين، وأهل الحديث.

ولعل هذا الوصف يصدق عليهم وعلى كثير من المسلمين إذا فشا في المتأخرين

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣)، وأبو داود (٣١١٦)، والحاكم (١/ ٣٥١، ٥٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٢)، والخطيب في «تاريخه» (١٠/ ٣٣٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١ / ١٧١) عن معاذ بن جبل ﷺ.

وأخرجه غيرهم وله طريق أخرى عن أبي هريرة ﷺ، انظر: «الإرواء» (٣/ ١٤٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه النووي في «المجموع» (٥/ ٩٩)، وابن حجر في «تخريج الأذكار» كما في «الفتوحات الربانية» (٤/ ١٠٩-١١٠).

منهم الخلط بين العقيدة الصحيحة والعقيدة الفاسدة، وبين السنة والبدعة، وبين الولاء لكتاب الله وسنة رسوله والولاء للمناهج البشرية حتىٰ لقد جمع أحد الكتاب الإسلاميين بين محمد بن عبد الوهاب، وابن عربي في ذكر الدعاة المصلحين، وساوىٰ آخر بين ابن تيمية والبنا في الاعتقاد والفقه ومنهج الدعوة.

هذه بعض نتائج الجهل والدعوة علىٰ غير بصيرة ومحاولة جمع «كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم» علىٰ غير معتقد صحيح ولا عبادة صحيحة ولا منهج شرعي.

وعلىٰ سبيل المثال: فإن كتاب تبليغي نصاب وهو الكتاب الوحيد لغير العرب في منهج جماعة التبليغ يضم إلىٰ جانب الآية والحديث الصحيح والدعوة إلىٰ الخير ما يأتي:

١- الحث علىٰ السفر إلىٰ المدينة النبوية بقصد زيارة قبر النبي ﷺ بعد الحج بدليل: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**»[1][2].

٢- الحث علىٰ التوجه لقبره ﷺ بالدعاء الآتي: «**يا رسول الله أسألك الشفاعة**»[3].

---

(١) تبليغي نصاب (فضائل الحج) محمد زكريا (ص٩٨).

(٢) حديث: «من حج ولم يزرني فقد جفاني». موضوع، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٤٨٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢١٧)، قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٦٥): موضوع.

وقال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص١١٧): «اعلم أن هذا الحديث منكر جدًّا لا أصل له، بل هو من المكذوبات والموضوعات».

(٣) تبليغي نصاب (فضائل الحج) محمد زكريا (ص١١٥).

٣- صيغة السلام على العمرين رضي الله عنهما: «جئناكما نتوسل بكما إلى رسول الله ﷺ ليشفع لنا ويدعو لنا ربنا»[١].

٤- أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ليتمكن الشيخ/ أحمد الرفاعي (في القرن السادس الهجري) من تقبيلها على مرأى من تسعين ألف مسلم[٢].

٥- أن الكعبة تذهب إلى بعض الصالحين في أماكنهم[٣].

٦- صيغة الصلاة على النبي ﷺ: «اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك، إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك»[٤].

ومثال آخر: الحجاب المتداول في مراكز جماعة التبليغ في القارة الهندية يجمع بين المعوذتين واسم الله الأعظم وأرقام٢و٤و٦و٨ مكررة في ١٦مربعًا وحولها بعض الرموز الغامضة.

تنظيمها:

١- المركز الرئيس موجود في حي نظام الدين (القبوري) بدلهي من الهند يتلوه في الأهمية مركز رائي وند من الباكستان، ومركز دكا من بنكلاديش.

(١) المصدر السابق (ص١١٧).

(٢) تبليغي نصاب (فضائل الحج) محمد زكريا (ص١٣١).

(٣) المصدر نفسه (ص٨٨).

(٤) المصدر نفسه، (فضائل درود شريف) محمد زكريا (ص٦٥).

وفي كل دولة (تعمل فيها الجماعة علنًا) مركز رئيس تتبعه مراكز فرعية في المدن والقرىٰ الكبيرة حسب الحاجة والقدرة.

وعلىٰ كل مركز أمير يعود بولائه إلىٰ الأمير العام في دلهي.

٢- جميع المراكز تحتل المساجد في الأحياء الفقيرة.

٣- لا يوجد للجماعة نظام مكتوب ظاهر، ولا سجل ثابت ولا رسم للعضوية، ولا ميزانية عامة، ولا جهاز إداري بالمعنىٰ العصري استغناء بما يسد الحاجة عن التقليد الغربي.

٤- علىٰ كل فرد في الجماعة التفرغ للخروج مع الجماعة ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يومًا في السنة وأربعة أشهر في العمر مرة علىٰ الأقل.

٥- علىٰ كل فرد الالتزام بطاعة الأمير، والاشتراك في أعمال الدعوة الجماعية والفردية، والاشتغال أثناء الخروج بالدعوة والعبادة وتعلم فضائل الأعمال وتعليمها وخدمة نفسه وغيره حسب الترتيب الذي تقسم به الأعمال علىٰ الخارجين.

وعليه أن يتجنب الجدال والخوض في الخلافات الدينية والحزبية والسياسية، وعليه أن يقلل من الكلام والطعام والمنام ووقت قضاء الحاجة، وألا يتدخل فيما لا يعنيه.

٦- موضوع الدعوة الملزم للجميع في كل مكان وكل زمان: بيان عظمة الله والتحذير من الانشغال بالدنيا وترقيق القلوب بأسلوب القاص.

وطلب الخروج لتغيير البيئة بمعنىٰ نقل المسلم من السوق إلىٰ المسجد ومن

بلده إلىٰ بلد آخر.

ويتم الكلام عن كل ذلك في إطار تعداد الأصول الستة أو الصفات الست التي تقدمت الإشارة إليها.

٧- المسجد هو المكان الرئيس للدعوة بالموعظة العامة.

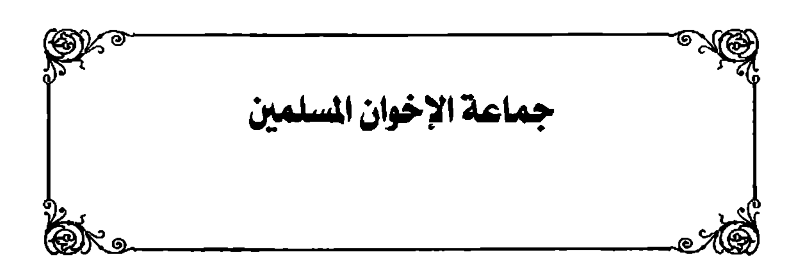
٨- ويتم التمهيد لها بزيارة الناس في بيوتهم ومتاجرهم ونواديهم وأماكن تجمعاتهم في إطار ما يعرف عند أفراد الجماعة بالزيارة الخصوصية والجولة العمومية.

٩- وعلىٰ كل فرد (في غير وقت خروجه) شغل جزء من وقته يوميًّا في حلقة المسجد وحلقة البيت، والزيارات الخصوصية ومناصرة جماعته.

وأسبوعيًّا في جولة تبليغية في حيه، وجولة تبليغية ثانية في حي آخر، وحضور الاجتماع الأسبوعي في مركز الجماعة، والمبيت فيه، وحضور جلسة الشورىٰ الأسبوعية.

كما أن عليه حضور الاجتماعات الدورية التي يتم عقدها بين وقت وآخر في منطقته وعند الاستطاعة خارجها.

* * *



جماعة الإخوان المسلمين

المؤسس: الشيخ/ حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا[١] تلقىٰ تعليمه في المدارس الدينية والإعدادية ودور المعلمين، وتخرج من دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٧م.

وأثناء عمله في التدريس بالإسماعيلية بدأ تكوين الجماعة مع عدد من زملائه عام ١٩٢٨م في نهاية عام ١٣٤٧هـ.

وفي عام ١٩٣٢م انتقلت الحركة إلىٰ القاهرة واستقر فيها مركزها العام ومرشدها العام حتىٰ اليوم.

بدأ اهتمام الشيخ حسن بالدعوة مبكرًا[٢] وتربىٰ علىٰ الطريقة الصوفية «الحصافية» وأخذ بيعتها علىٰ يد الشيخ/ بسيوني العبد، ثم علىٰ يد الشيخ/ عبد الوهاب الحصافي نائب رئيس الطريقة وواظب علىٰ حضرتها وورد ها والخروج في موكبها في عيد المولد واستمر علىٰ ذلك إلىٰ ما بعد انتقاله إلىٰ دار العلوم كما تبين من كتابه: «مذكرات الدعوة والداعية» (ص٩-٦٢)، بل إلىٰ آخر حياته كما يقول

---

(١) ولد عام ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م، وتوفي عام ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.

(٢) مجموعة رسائل حسن البنا (ص٥-٧).

الشيخ/ أبو الحسن الندوي في كتابه: «التفسير السياسي للإسلام» (١٣٨-١٣٩): وكان إعجابه ومواظبته علىٰ وردها المعروف «بالوظيفة الرزوقية» صباحًا ومساءً تبعًا لاتجاه والده -رحمه الله-.

يقول الشيخ/ حسن البنا -رحمه الله-: «وزادني بها إعجابًا أن الوالد قد وضع عليها تعليقًا لطيفًا جاء فيه بأدلة صيغها جميعًا تقريبًا من الأحاديث الصحيحة، وسمىٰ هذه الرسالة: «تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية»[1].

ويقول الشيخ/ حسن عن شيخ الطريقة حسنين الحصاف: «وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك عليَّ لبي من سيرته ﷺ شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

ولم يَدُرْ بخلد الشيخ ولا المريد أن تكوين طريقة صوفية خروج عن طريق محمدﷺ وصحبه، ومنكر يجب تغييره.

لم يترك أثرًا علميًّا يتجاوز مجموعة رسائله ومذكراته، ولكنه استثمر ما حصل عليه من معلومات شرعية استثمارًا طيبًا في حدود قدرته وظروف تربيته.

وانتهت حياته غيلة في القاهرة عام (١٩٤٩م) -رحمه الله-.

الجماعة في حياته: بدأت الجماعة ببضعة رجال في الإسماعيلية، ثم انتشرت بعد انتقالها إلىٰ القاهرة في مختلف أنحاء مصر.

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا (ص١٠).

(٢) المصدر نفسه (ص١٠-١١).

وكان هدفها الأدنى: إصلاح المجتمع المسلم في مصر.

وكان هدفها الأقصى: إصلاح المجتمع المسلم في كل مكان[١].

وبرزت في طريق التكوين والإصلاح الملاحظات التالية:

أ- أرادت الحركة أن تجتذب جميع المسلمين في مصر على اختلاف مناهجهم بين السلفية والصوفية فعرفت نفسها بأنها «دعوة سلفية»، و«طريقة سنية»، و«حقيقة صوفية»[٢].

وأرادت أن تجمع في عضويتها بين طالب الدين والدنيا فأضافت أنها «هيئة سياسية»، و«جماعة رياضية»، و«رابطة علمية ثقافية»، و«شركة اقتصادية»، و«فكرة اجتماعية»[٣].

ولتحقيق شمولية الحركة لجميع الاتجاهات الفكرية المصرية في ذلك الوقت أوسعت مكانًا للفكرة المصرية أو القومية وللعروبة وللفكرة الشرقية والعالمية في ظل الحكم الإسلامي[٤].

ب- حددت لنفسها هدفين أساسين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام

---

(١) مجموعة رسائل حسن البنا (ص٦٢).

(٢) المصدر السابق (ص١٥٦).

(٣) مجموعة رسائل حسن البنا (ص١٥٦-١٥٧).

(٤) المصدر نفسه (ص١١٢، ١١٤).

وتطبق نظامه الاجتماعي[١].

جـ- ولأن الحكومة الإسلامية من أهدافها الأساسية، فإن وجدت «فبها» وإلا فستعمل لاستخلاصها من أيدي أي حكومة لا تنفذ أمر الله.

ولكنها لن تتقدم لمهمة الحكم قبل أن تنتشر مبادئ الإخوان المسلمين وتسود، ويتعلم الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة[٢].

د- والقوة العلمية وسيلة أخيرة لتحقيق ذلك بعد أن تتوفر أسبابها: الإيمان، ثم الوحدة، ثم السلاح[٣].

هـ- وقد طغت شخصية المؤسس على المؤسسة فلم يعد من السهل تمييز أحدهما عن الآخر.

جماعة الإخوان المسلمين هي حسن البنا بحدود علمه وفكره واتجاهاته وأهدافه وتنظيمه، وبالتناقض بين الفكرة والفكرة، وبين الفكرة والتطبيق.

وصدق الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[٤].

١- يقول -رحمه الله-: «إننا ناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة قدوة لنا»[٥].

(١) المصدر نفسه (ص١٤١).

(٢) المصدر نفسه (ص١٧٠-١٧١).

(٣) المصدر نفسه (ص١٦٩-١٧٠).

(٤) سورة النساء، آية:٨٢.

(٥) مجموعة رسائل حسن البنا (ص٣٥).

ويقول: «وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك: إن الإخوان:

١- دعوة سلفية لأنهم يدعون إلىٰ العودة بالإسلام إلىٰ معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

٢- وطريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم علىٰ العمل بالسنة المطهرة في كل شيء وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً»[(١)].

ويقول: «وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلىٰ ما هو شر منها»[(٢)].

ويقول: «ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأول لذلك سدًّا للذريعة»[(٣)].

٢- **وفي الجانب المضاد يقول -رحمه الله-:** «ونظام الدعوة في هذه المرحلة (مرحلة التكوين) صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج»[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه (ص١٥٦).

(٢) المصدر نفسه (١٧٠).

(٣) المصدر نفسه (١٧٠).

(٤) مجموعة رسائل حسن البنا (ص١٧٤).

ويقول: «والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكلٍّ فيه رأيه، والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي وليس من مسائل العقيدة»[١].

ويقول عن مذهب السلف في صفات الله: «فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب... إلخ، وكل ذلك بمعان لا ندركها»[٢].

ومع أنه -رحمه الله- تطرق إلى تفاصيل جزئية صغيرة في برنامجه العملي لإصلاح المجتمع مثل: «تنظيم المصايف»، و«توحيد الزي»[٣].

وأحصى واجبات الأخ المسلم بناء على بيعته الإخوانية وعددها: (٣٨) واجبًا ومن بينها:

«عدم الإسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة»[٤].

لم يورد أي إشارة تتعلق بتصحيح العقيدة والعبادة علمًا وعملاً ولا إزالة الأوثان (الأضرحة) التي بليت بها البلاد وبنيت عليها المساجد ولا الدعوة إلى السنة ولا إنكار البدع بين هذه الواجبات التطبيقية.

بل وردت توجيهات إلى الالتزام ببعض البدع مثل: الذكر القلبي والإكثار منه[٥]،

---

(١) المصدر نفسه (ص٢٧٠).

(٢) المصدر نفسه (ص٣٢٥).

(٣) المصدر نفسه (ص٧٦-٧٧).

(٤) المصدر نفسه (ص٢٧٧).

(٥) مجموعة رسائل حسن البنا (ص٢٨٠).

وورد الدعاء[١]، وورد الرابطة[٢]، وورد المحاسبة[٣]، والاحتفال بالذكريات الإسلامية[٤].

كل هذا (وأهم منه: مخالفة ما شرعه الله لجميع رسله وهم قدوة الدعاة إلىٰ سبيله في إهمال البدء بتوحيد العبادة لله والتركيز عليه في جميع مراحل الدعوة والنهي عن الشرك في العبادة والابتداع فيها)، لا يؤيد دعوىٰ «العودة بالإسلام إلىٰ معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ولا علىٰ الاقتداء بالسلف الصالح من أبناء هذه الأمة نظريًّا ولا عمليًّا.

وبدأت حياة حسن البنا الإخوانية عام ١٩٢٨م، وانتهت عام ١٩٤٩م، دون محاولة ظاهرة لتغيير البدع الشركية والأصيلة التي أوضح -غفر الله له وعفا عنه- وجوب محاربتها، لا باليد ولا باللسان، وعلم القلب عند الله، وسارت الحركة من بعده علىٰ النهج المعروف: إنكار علىٰ الحاكم وسكوت عن الرعية، اهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة وإهمال للقضايا التي خلق الله لأجلها الخلق وأرسل من أجلها الرسل وتعني كل فرد في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إثارة شباب المساجد علىٰ الحكام وبالتالي إثارة العداء بين الحاكم والمحكوم المتدين في سلسلة لا تنتهي من الثورة والبطش لا يصلح بها حال المجتمع المسلم المشغول بذلك عن إصلاح معتقده وعبادته ووقف الانحدار في تدينه إلىٰ حالٍ تشبه حال اليهود والنصارىٰ والمشركين من وجوه.

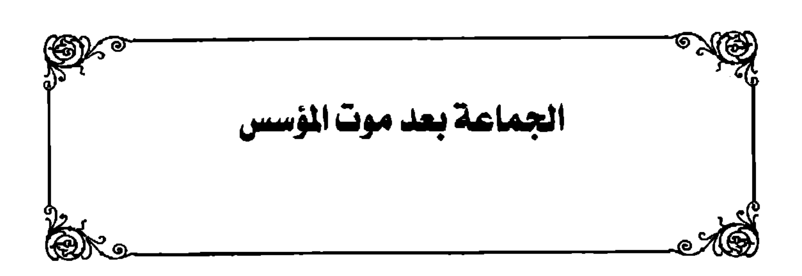
---

(١) المصدر نفسه (ص٣٧٧-٣٧٨).

(٢) المصدر نفسه (ص٣٧٧-٣٧٨).

(٣) المصدر نفسه (ص٣٧٧-٣٧٨).

(٤) المصدر نفسه (ص١٢٣).



الجماعة بعد موت المؤسس

أ- لعل موت حسن البنا -رحمه الله- كان سببًا في لفت انتباه سيد قطب -رحمه الله- إلى الحركة والتحاقه بها وبذل وقته وقلمه وأخيرًا نفسه تحت مظلتها.

وقد أدرك -رحمه الله- الخطأ الأساس في الحركة وحاول تصحيح منهجها بتوجيهه إلى ما وجه الله إليه جميع رسله: العقيدة أولاً قبل الحاكمية، وقبل التثقيف، وقبل المشاريع الاجتماعية؛ بل وقبل كل شيء.

فهو يقول: «الحركات الإسلامية تشغل نفسها بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة كمحاربة معاهدة أو اتفاقية وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه.

كما أنها تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية، بينما المجتمعات ذاتها قد بعدت عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول والغيرة عليها وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية»[1].

---

(١) لماذا أعدموني سيد قطب (ص٢٩).

ويقول: «هذا الظرف كان يحتم علي أن أبدأ مع كل شاب وأسير ببطء وحذر من ضرورة فهم العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا قبل البحث عن تفصيلات النظام والتشريع الإسلامي، وضرورة عدم إنفاق الجهد في الحركات الإسلامية المحلية الحاضرة في البلاد الإسلامية للتوفر على التربية الإسلامية الصحيحة لأكبر عدد ممكن، وبعد ذلك تجيء الخطوات التالية بطبيعتها بحكم اقتناع وتربية قاعدة في المجتمع ذاته لأن المجتمعات البشرية اليوم -بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية- قد صارت إلى حالة مشابهة كثيرًا أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام، فبدأ معها من العقيدة والخلق لا من الشريعة والنظام، واليوم يجب أن تبدأ الحركة والدعوة من نفس النقطة التي بدأ منها الإسلام وأن تسير في خطوات مشابهة مع مراعاة بعض الظروف المغايرة»[1].

ومع اضطراب سيد في فهم العقيدة الصحيحة، وسبيل الدعوة إليها لم تستفد الجماعة من محاولته تصحيح اتجاهها، وحال بينه وبين ما أراد أمر من الله هو الموت، وأمر من الشيطان هو تعصب بعض قادة الحركة الذين قال لسان حالهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[2].

يقول سيد قطب -رحمه الله-: «فبعضهم أخذ يتحمس لهذا الاتجاه من التفكير ويطلب منه المزيد، وبعضهم أخذ يتحمس ضده بشدة؛ باعتبار أن فيه مخالفة للخط الحركي الذي سارت عليه الجماعة من قبل وتخطئة لها في بعض تحركاتها، وباعتبار

(١) لماذا أعدموني سيد قطب (ص٣٢، ٣٤).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٢٣.

آخر وهو أنه صادر عن جهة غير شرعية بالنسبة لهم[1] أي: ليست قيادية.

وبموت سيد قطب -رحمه الله- ماتت المحاولة الوحيدة لتصحيح الحركة من داخلها، ووجد من بعده (ممن أدركوا خطأ اتجاه الحركة من أفرادها) أن لابد من الانفصال عنها بحركات جديدة لأن الحركة الأم غير قابلة للإصلاح.

ب- وتردت الحركة أكثر فأكثر إلىٰ محاولات متتابعة للإبقاء علىٰ وجودها بركوب موجات الأحداث السياسية الجارية: الاحتلال، القتال، مناهضة الحكام، الانتخابات، الثورة الإسلامية في إيران، الغزو الروسي لأفغانستان، ثورة الحجارة في فلسطين، وبمحاولة الاستئثار بالغنائم الباردة: المؤسسات العامة والخاصة، الوظائف الرسمية، تبرعات المحسنين لهذا الغرض أو ذاك، وباستغلال الفرص والمناسبات والحركات السياسية والدينية دون التفات ظاهر للحق والمصلحة العامة والولاء والبراء والشرع عامة.

وفي هذا الاتجاه والت الجماعة حكومات وأحزابًا، وعادت حكومات وأحزابًا كلها تسير علىٰ نهج واحد، وسعت إلىٰ الاشتراك في ممارسات يرتبط وجودها بالتحذير منها.

يقول محمد قطب -وهو معروف بموالاته للجماعة وإن لم يكن عضوًا فيها-:
«حين تقوم جماعة من الجماعات بالتحالف مع الشيطان متمثلاً في أحزاب تنكر شريعة الله وترفض اعتبارها ملزمة للناس في العصر الحاضر ولا تعتبر الدين -أي:

---

(١) لماذا أعدموني (ص٣٤).

الإسلام- مقومًا من مقومات فكرها وتضع بدلاً منه الفكر القومي العربي الاشتراكي، ثم تلزم أعضاءها بالسمع والطاعة لهذا العمل أو تهددهم بالفصل إن عارضوا»[١].

ويقول: «فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم إلىٰ شريعة الله وحدها أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله فضلاً عن أن يقسم يمين الولاء له ويتعهد بالمحافظة عليه وعلىٰ الدستور الذي ينبثق عنه»[٢].

ويقول: «إننا نقول للجماهير في كل مناسبة إن الحكم بغير ما أنزل الله باطل ولا شرعية إلا للحكم بشريعة الله، ثم تنظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما ندعوها هي لعدم المشاركة فيه»[٣].

ج- وَلَيْتَ الحركة تستفيد من تجاربها وفشلها المتكرر وتدرك الخطأ الذي تقع فيه وأثره السيئ علىٰ أفرادها وعلىٰ الحركة الدينية عامة.

ولكنها للأسف تسير في دوامة روتينية قاتلة، يظهر مثلاً نشاط ديني طارئ، ويتجه الناس إلىٰ عمارة بيوت الله بالطاعة وتكثر المدارس والمراكز الدينية ويقبل المسلمون علىٰ فعل الخير، وتأتي الحركة لاستغلال هذا الاتجاه في تنفيذ أهدافها وأهمها السلطة... وتنهض الحكومة للدفاع عن سلطتها، ويقتل من يقتل، ويسجن من يسجن، ويهرب من يهرب من أفراد الحركة ومن غيرهم، ويضعف النشاط الديني

---

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب (ص٥٠٠).

(٢) المصدر السابق (ص٤٦٣).

(٣) واقعنا المعاصر، محمد قطب (ص٤٦٤).

وتفقد الثقة بين الحاكم والمتدينين من رعيته ويتوجس كل منهما الشر في الآخر، ويحاول أن يتقيه بكل الوسائل.

وتمر فترة من الزمن تهدأ فيها الخواطر وتبدأ المياه في العودة إلىٰ مجاريها فيعود المسلم إلىٰ المسجد والمدرسة الدينية وإلىٰ مختلف أعمال الخير ويولد نشاط ديني جديد فتأتي الحركة لاستغلاله وتتكرر المشاهد مرة تلو الأخرىٰ.

يقول فتحي يكن رئيس الحركة في لبنان: «منذ ربع قرن والحركة الإسلامية الحديثة تعيش محنًا ضارية تقدم فيها الشهيد تلو الشهيد، وتبذل الثمن غاليًا من وجودها وحياتها دون أن يكون لها من ذلك أدنىٰ مردود»، ثم: «والحركة الإسلامية بالرغم من كل هذا لا يزال أسلوبها في العمل نفس الأسلوب الذي مارسته في ظل أوضاع غدت في خبر كان؛ بل وغدت ممارستها له اليوم -وفي أعقاب التحول الجذري الذي شهدته المنطقة- ضربًا من الانتحار وجريمة لا يجوز السكوت عنها»[1].

ومع صدق هذه الملاحظة فلم تنتبه الحركة، ولم يتبه ممثلها في لبنان إلىٰ أساس المشكلة، وهو: الانحراف عن منهاج النبوة في الدعوة، ولا إلىٰ علاجها، وهو الرجوع إليه، الدعوة إلىٰ الله عبادة ولها منهاج شرعي لا يتغير بتغير الظروف والأحوال، ولا دخل للفكر البشري في توجيهه، ولا يحكم عليه بالنتائج، فإن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ويأتي النبي ومعه من العالمين ما لا يحصيه إلا الله، ومنهجهما واحد لم يغيره مر القرون والأجيال ولا القبول والرفض.

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، مقدمة الطبعة الثانية.

د- وللنقص الذي تعانيه الحركة في العلماء والعلوم الشرعية ومنهاج السنة انزلقت في اتجاهين:

١- استحداث اصطلاحات لغوية جديدة تحاول بها ستر فقرها في هذا الأمر الذي لا تصح دعوة إلىٰ الله بدونه: «الفكر الإسلامي»، و«الثقافة الإسلامية» عوضًا عن العلم الشرعي، و«المثقف»، و«المفكر»، و«الكاتب الإسلامي» عوضًا عن العالم الشرعي، و«أسلمة الثقافة العلمانية» عوضًا عن غزوها بشريعة الله وسنة نبيهﷺ.

ونتيجة لذلك بدأ العلم الشرعي يفقد مكانه في المساجد والمدارس ويشغل فراغه بذواقة من «التربية الإسلامية» لا تسمن ولا تغني من جوع.

وبدأ العالم الشرعي يخلي مكانه في ميدان الدعوة إلىٰ الله للكاتب والشاعر «الإسلامي» لتتحول الدعوة إلىٰ خطب رنانة تهاجم أهدافًا خيالية أو ثانوية الأهمية تشغل المسلمين عن الأهداف الحقيقية البالغة الأهمية في دنياهم وأخراهم من عقيدة صافية وعبادة صالحة.

وطغىٰ علىٰ الأمة طوفان من «الفكر الإسلامي» يعتمد علىٰ العقل المثقف أكثر مما يعتمد علىٰ أصول ومصادر الشريعة الثابتة من الكتاب والسنة وفقه الأئمة.

ووصْفُ الله ﷻ: «بالقيادة العليا»، والقرآن الكريم: «بالإيقاع الموسيقي، والتصوير الفني»، ووصف الرسولﷺ بالعبقرية وربط الشرع بالفكر.

٢- قبول كل ما من شأنه تكثير عدد الجماعة وعدتها وتحقيق انتشارها وبلوغ أهدافها ولو أدىٰ ذلك إلىٰ التناقض الظاهر في الأقوال والأعمال بين موالاة حكومة ومعاداة أخرىٰ تسلك المذهب الفكري الإلحادي نفسه.

ومناصرة حكومة ومحاربة أخرىٰ تماثلها في المنهج السياسي، ودخول الانتخابات تحت مظلة حزب علماني ضد أحزاب علمانية أخرىٰ.

وقد بلغ هذا الانحراف بالجماعة إلىٰ إفساح المجال لدعاة التصوف للوصول إلىٰ قيادة الحركة وتوجيهها وأقرب مثال علىٰ ذلك: الشيخ سعيد حوىٰ وكتابه: «تربيتنا الروحية» الذي أصبح واحدًا من أهم قادة ومراجع ومناهج التربية لدىٰ الجماعة، وفي هذا الكتاب يؤكد المؤلف أنه تتلمذ في باب التصوف علىٰ مشايخ الصوفية في عصره حتىٰ بلغ درجة المشيخة[1].

وأنه يندر أن يجد كمالاً في النفس أو إحسانًا في السلوك أو قدرة في التعامل إلا إذا وجد تربية صوفية صافية؛ لأن الصوفية هم الذين ورثوا عن الرسولﷺ تربية النفس، فما لم يأخذ الإنسان عنهم تبقىٰ نفسه بعيدة عن الحال النبوية[2]، وإن علم التصوف مكمل للعقائد والأحكام الشرعية[3]. وإن القفزة العالية نحو معرفة الله تتحقق بالذكر بالاسم المفرد: الله الله[4]، وإن ما يجري علىٰ يدي أبناء الطريقة الرفاعية (من سحر وشعوذة ومخرقة) من أعظم فضل الله علىٰ الأمة وتصديق لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء»[5].

ولقد تنبه سيد قطب -رحمه الله- لهذا الانحراف ونبه إليه وحذر منه قائلاً:

---

(١) تربيتنا الروحية، سعيد حوىٰ (ص١٦).

(٢) تربيتنا الروحية، سعيد حوىٰ (ص٢١).

(٣) المصدر نفسه (ص٦٤، ٦٨).

(٤) المصدر نفسه (ص١١٥).

(٥) المصدر نفسه (ص٢١٨).

«ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات -بعد الرسل- والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلىٰ استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها.

ولقد تدفعهم كذلك إلىٰ اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصًا علىٰ سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، واجتهادًا في تحقيق «مصلحة الدعوة».

ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها علىٰ النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنما يجب أن يمضوا علىٰ نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يَدَعوا نتائج هذه الاستقامة لله، ولن تكون إلا خيرًا في نهاية المطاف»[١].

ثم يقول: «إن كلمة «مصلحة الدعوة» يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات، لأنها مزلة ومدخل للشيطان يأتيهم منه حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص، ولقد تتحول «مصلحة الدعوة» إلىٰ صنم يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل»[٢].

وبما أن منهج «الدعوة الأصيل» هو منهاج النبوة وحده فإن من الواضح أن حركة الإخوان المسلمين مثل أغلبية الحركات الإسلامية ، قد نسيت هذا المنهج أو

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ص٢٤٣٥) عند تفسير الآيات (٤٢، ٥٧ من سورة الحج).

(٢) المرجع السابق (ص٢٤٣٥).

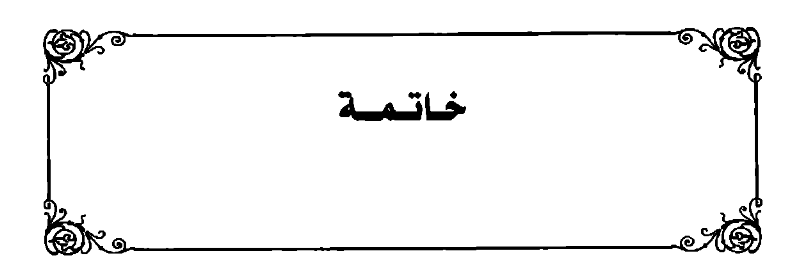
جهلته أو تنازلت عنه «بقصد استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر».

وإذا كان الانحراف في حركة الإخوان قد بدأ بالخلط بين السلفية والسنية والصوفية وفرض الطاعة لغير المعصوم «من غير تردد ولا مراجعة ولا شكٍّ ولا حرج» في فكر المرشد العام الأول حسن البنا -رحمه الله- كما قدمنا فقد تطور حتىٰ بلغ في فكر المرشد العام الثالث عمر التلمساني إلىٰ أن يؤكد في مؤلفه «شهيد المحراب» (ص١٩٧، ٢٠٢) أنه: «لا داعي إذن للتشدد في النكير علىٰ من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد».

«ولئن كان هواي مع أولياء الله وحبهم والتعلق بهم، ولئن كان شعوري الغامر بالأنس والبهجة في زياراتهم، بما لا يخل بعقيدة التوحيد، فإني لا أروج لاتجاه بذاته فالأمر من أوله إلىٰ آخره أمر تذوق».

ألا يخل بعقيدة التوحيد اللجوء إلىٰ قبر البدوي المتخذ مسجدًا والدعاء فيه عند الشدائد والتعلق به وإحالة أمر العبادة إلىٰ التذوق؟!





خاتمة

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢].

ويقول الرسول ﷺ في حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٣].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه أبو داود (٥/ ١٣) في كتاب السنة، باب لزوم السنة، والترمذي (٥/ ٤٤) في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجه (١/ ١٥) في =

وقال: «من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية»[١].

وإذا لم يكن للمسلمين -في وقت من الأوقات- جماعة ولا إمام فليس للمسلم إلا أن يلتزم بأمر النبي ﷺ: «**فاعتزل تلك الفرقَ كلَّها ولو أن تعض علىٰ أصل الشجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يأخذ علىٰ أحد عهدًا بموافقته علىٰ كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه».

«ومن مال مع صاحبه (سواء كان الحق له أو عليه) فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله».

«ولا يشد وسطه لا لمعلمه ولا لغير معلمه فإن شد الوسط لشخص معين

=

المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦-١٢٧)، والدارمي في سننه (١/ ٤٣-٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧- ١٩، ٢١، ٢٧، ٢٩-٣٠)، وابن حبان (١/ ١٠٤- ترتيب بلبان)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥-٩٧) وأخرجه غيرهم.

وقد قال فيه الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني في بعض كتبه وتحقيقاته، انظر الصحيحة: (٢/ ٦٤٧)، وتخريج السنة لابن أبي عاصم كما تقدم، وصححه جمع غير هؤلاء، وأقوىٰ طرق الحديث طريق ابن ماجه، وهي عن يحيىٰ بن أبي المطاع، وانظر بحثنا المفرد في تخريج هذا الحديث.

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٦-١٤٧٧) في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (ح:١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

وانتسابه إليه من بدع الجاهلية».

«فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى فهذا قد أمر الله به ورسوله (له ولغيره) بدون هذا الشد، وإن كان المقصود التعاون على الإثم والعدوان فهذا قد حرمه الله ورسوله».

«وإذا اجتمعوا على طاعة الله ورسوله وتعاونوا على البر والتقوى لم يكن أحد مع أحد في كل شيء، بل يكون شخص مع كل شخص في طاعة الله ورسوله ولا يكونون مع أحد في معصية الله ورسوله»[1].

هذا هو صراط الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل المؤمنين أهل السنة والجماعة؛ فليكن ولاؤنا وانتماؤنا وانتسابنا وطاعتنا لله ولرسوله ولأولي الأمر من المسلمين، ولنحافظ على الجماعة: «**فإن يد الله مع الجماعة**».

ولنستغن بمنهج الرسول ﷺ في الدين والدعوة إليه عن مناهج البشر وأفكارهم وشعاراتهم وتنظيمهم حتى نستطيع قبول الحق ورد الباطل من حيث جاء لا ميزان لنا في الحكم عليه إلا شرع الله.

أما موازين التكتلات والأحزاب فليس أدل على اختلالها من قول الشيخ حسن البنا -رحمه الله-: «وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحبًا به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحًا من أية

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن القاسم (ص١٦ - ١٨، ج٢٨).

دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه»[١].

ويقول أيضًا مخاطبًا الإخوان: «فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحدًا وتستغني عن غيرها إذ هي جماع كل خير وما عداها لا يسلم من النقص»[٢].

وقد رأينا فيما تقدم من هذه العجالة أن الله قد صدق وعده للدعاة إليه على نهج نبيه ﷺ بلا تنظيم عصري ولا شعارات ولا مراكز وأمراء وبيعات تعزلهم عن جماعة المسلمين، وأن الدعاة على مناهج البشر قد فشلوا في الوصول إلى نصر الله وتأييده وتمكينه مهما تكررت محاولاتهم وتنازلاتهم وتقلبات ولائهم.

وأهم من ذلك فإن منهاج النبوة في الدين والدعوة يتعرض لخطر الغرق في بحر الحركات والأحزاب والمناهج البشرية المبتدعة باسم مصلحة الدعوة وملاءمتها للعصر.

فالموازين الشرعية مفقودة أساسًا في وجود ومناهج هذه الجماعات، ولو رجعت إلى شرع الله لما وجدت، وسواء سميت جماعات أو أحزابًا أو طوائف أو فرقًا فهي خارجة عن جماعة المسلمين، فالجماعة واحدة: «**إن يد الله مع الجماعة**»، وليس مع الجماعات، والحزب واحد هو «حزب الله» وليس أحزاب الله، والطائفة الناجية واحدة: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**»، وليست طوائف، بل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٣]، والشيع: الجماعات: كل واحدة تتشيع

---

(١) مجموعة رسائل حسن البنا (ص١٧).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية (ص٢٢٢).

(٣) سورة الأنعام، آية:١٥٩.

لفرد أو منهج بشري غير معصوم.

وقال تعالىٰ: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، من كان علىٰ مثل ما أنا عليه وأصحابي**». فلا ينجو أكثر من فرقة، ولا أكثر من حزب، ولا أكثر من طائفة، ولا يمكن أن تكون كلها علىٰ الحق ومناهجها مختلفة، ولو اتبعت كتاب الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، لما تعددت ولا تفرقت ولا احتاجت منهجًا وأميرًا خاصًّا بها.

والواقع أن هذا التفرق من الشيطان، وليقبله المسلمون، وينطلي علىٰ بعض الصالحين وطلاب العلم سماه تجمعًا، وأضاف إليه وصف «الإسلامي أو الإسلامية».

أما رسول الله ﷺ فلم يأمر حذيفة ولا غيره من صحابته رضي الله عنهم بلزوم جماعات المسلمين،ولا بالبيعة لعدد من أئمتهم وأمرائهم، وإنما أمر بلزوم الجماعة الواحدة، والإمام الواحد، ورد علىٰ الشبهة التي يثيرها الحزبيون الإسلاميون اليوم: إن لم يكن للمسلمين إمام ولا جماعة؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**». رواه مسلم، وتقدم تقريبًا.

والفكر مظنة الخطأ ولو سمي إسلاميًّا، ووصف الإسلامي والإسلامية

---

(١) سورة المؤمنون، آية:٥٣.

مبتدع لتزيين الفكر، فإذا قبله المسلمون استغنوا به عن الوحي.

وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، ثم هيئة كبار العلماء بعدم شرعيتها، -وفقهم الله- وقد ذكرنا الفتوىٰ بنصها فيما تقدم (ص٧٢-٧٣)، وما نشأ الضلال بين المسلمين ومعه التفرق في الدين إلا بسبب الفكر الإسلامي منذ البداية عندما اتجه بعض علماء المسلمين إلىٰ الفكر اليوناني فكانت النتيجة: الحلاج، وطيفور البسطامي، والغزالي، وابن عربي، وأحزابهم، وكانت الفرق الباطنية، ومنها: الصوفية، حتىٰ وصل الأمر إلينا حيث فرق الهوىٰ، والشيطان مجتمعاتنا (المسلمة المنتمية إلىٰ السنة) إلىٰ تبليغ، وإخوان، وتحرير، وجهاد، إلىٰ آخر منظومة التفرق ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

والواقع أن جميع هذه الأحزاب والفرق والجماعات الحركية مالت مع الباطل أو تجنبت مناصرة الحق، وما يظهر من اختلاف في الإعلانات الدعائية لا يزيد عن تظاهر تكتيكي لحفظ خطة الرجعة إلىٰ المصالح الدنيوية، أما القيادة الدولية للحزب فخطها واضح، بين الفكر والمصلحة الخاصة.

ولا يمكن أن تجتمع كلمة المسلمين، ولا أن يتحد صفهم، إلا باتحاد نهجهم علىٰ كتاب الله وسنة رسوله في الدين والدعوة إليه.

أما إذا استمرت الحال علىٰ ما نرىٰ الآن فسيستمر التفرق في الصفوف وفي القلوب أيضًا، ولن تكون القلوب وحدها شتىٰ.

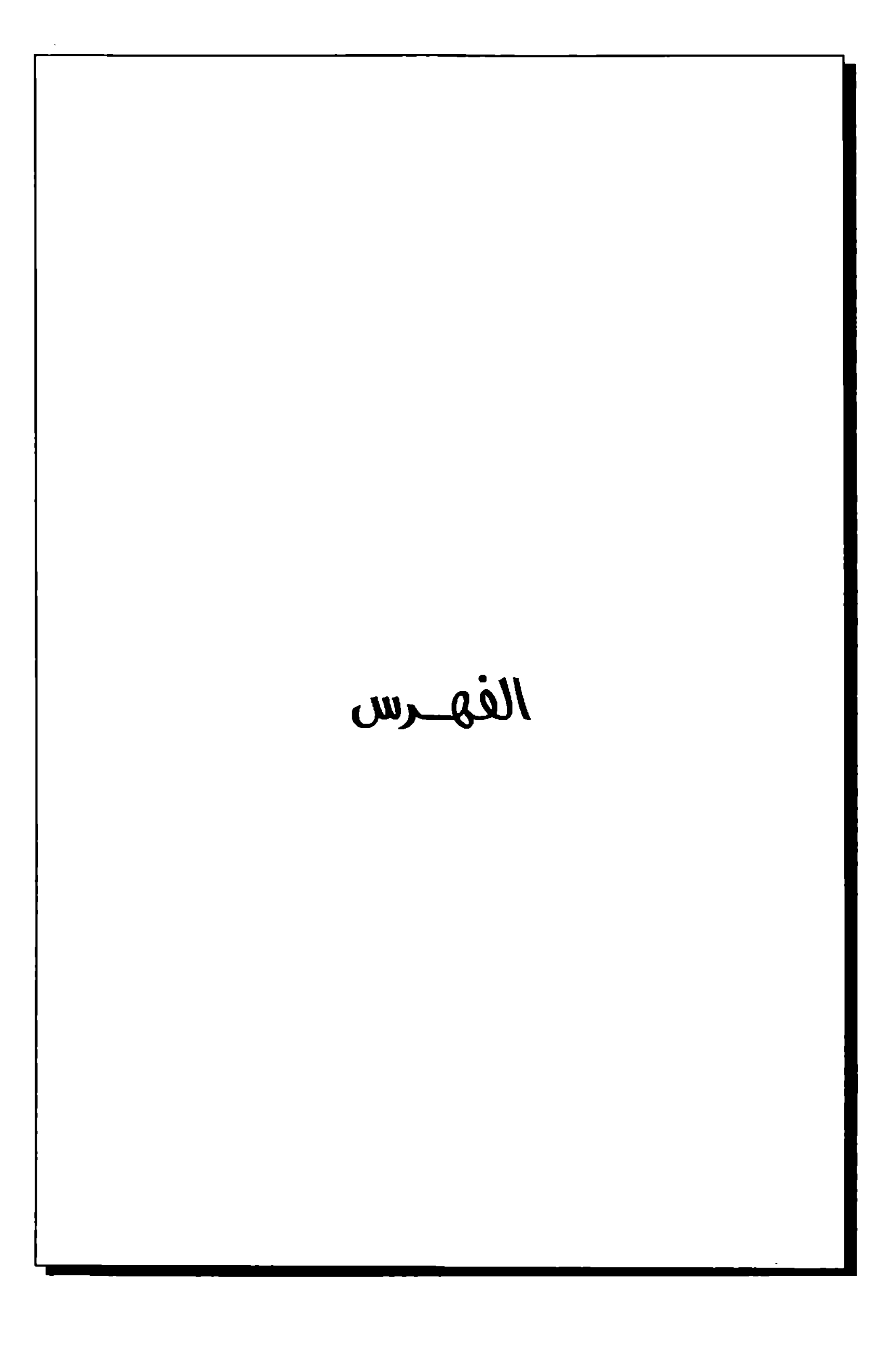
اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واجمع كلمتنا علىٰ طاعتك، واتباع

سنة رسولك، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

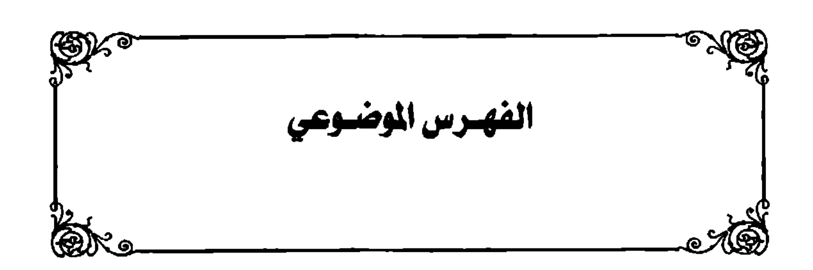
وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين واجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

سعد بن عبد الرحمن الحصين

-عفا الله عنه-

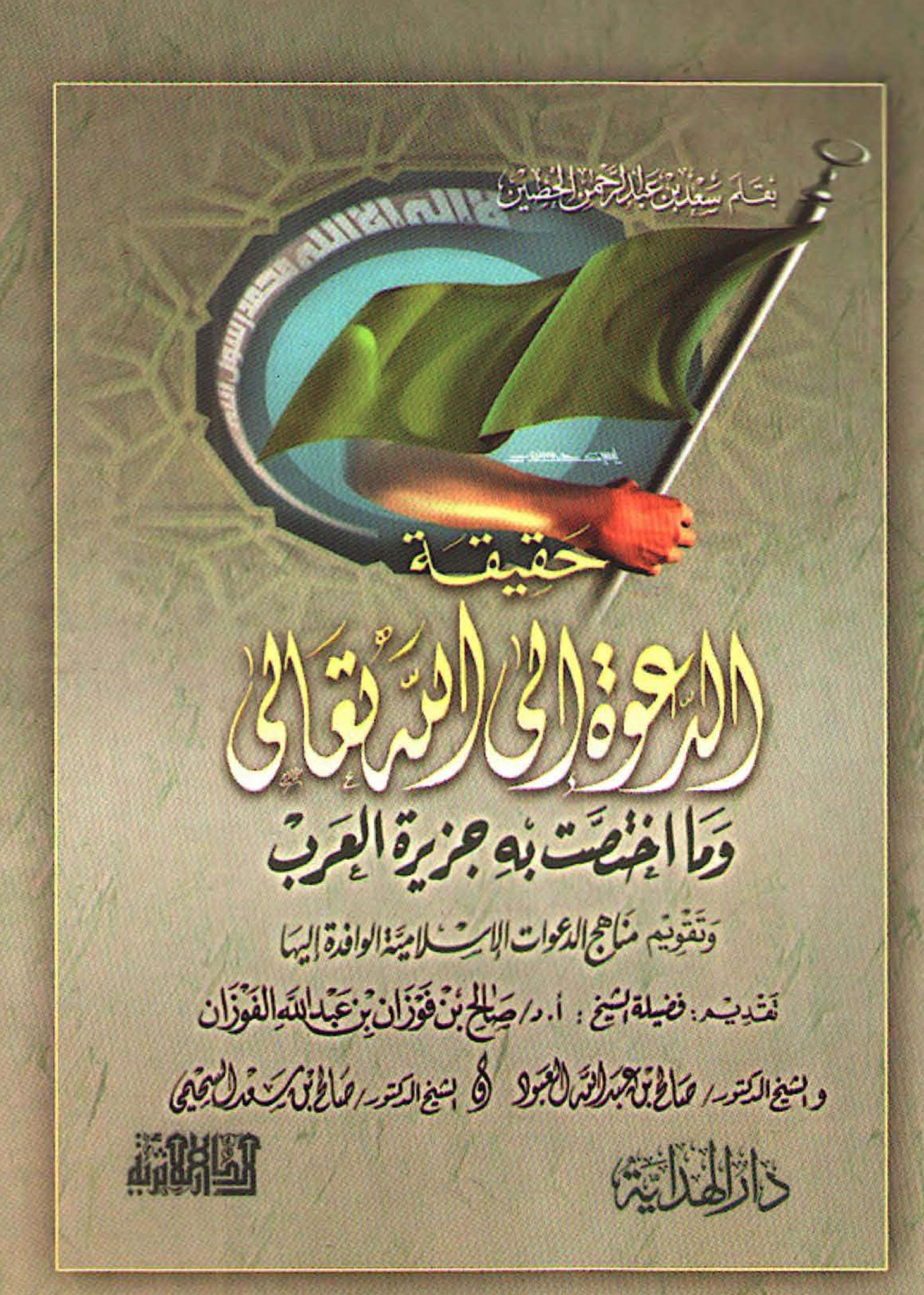


الفهـرس



الفهـرس الموضـوعي




بقلم سعد بن عبد الرحمن الحصين
حقيقة
الدعوة إلى الله تعالى
وما اختصت به جزيرة العرب
وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها
تقديم: فضيلة الشيخ: أ. د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
والشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله العبود والشيخ الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي
دار الهداية